الفصل الثانى

علاقة الحبشة القديمة باليهود

يسمي اليهود أنفسهم كيلا Kayla أو بيت إسرائيل Betaisrael ويسميهم الأثيوبيون فلاشة Falasha أي المنفيون أو المهاجرون والآراء مختلفة في أصلهم ،وموطنهم اليوم منطقة سيمن الجبلية شمال بحيرة تانا ولا يعرف عددهم على وجه اليقين، هُجّر منهم أكثر من أربعة عشر ألفاً عامي ١٩٨٤ و١٩٨٥ إلى فلسطين المحتلة طبقاً لاتفاق عقد بين الإسرائيليين والحكومة الأثيوبية ومذهبهم توراتي خالص، أي أنهم يعترفون بأسفار موسى الخمسة المترجمة إلى الجعزية وهي لغتهم الدينية وبها وضعوا مؤلفاتهم، ولكن لغة الحديث عندهم هي الأمهرية أو التغرينية، أما العبرية فيجهلونها جهلاً تاماً.

ومن الحضارات التي أثرت في حضارة أكسوم ، الحضارة اليهودية ، التي تسربت إلى البلاد عن طريق اعتناق قبائل الأجاو Agao لهذه العقيدة ويرجح أن اليهود وصلوا إلى الحبشة على أثر تفرقهم أواخر القرن السادس قبل الميلاد حيث ضرب يختصر البابلي بيت المقدس وشتت بني إسرائيل ، وقد كون هؤلاء مستعمرات تجارية في الحبشة وغيرها ، وسارت هذه المستعمرات خلايا للدعاية اليهودية فضلاً عن

النشاط التجاري الذي أسهم في تقدم أكسوم ، ورغم أن قبائل الأجاو قد اعتنقت اليهودية إلا أنها لم تثبت عليها ، فقد تحولت فيما بعد إلى المسيحية المينوفيزيتية ، ولا يخفى أثر اليهودية في الأفكار السياسية والدينية لمملكة الحبشة ، منها أسطورة تسلسل ملوك الأحباش من سلالة سليمان الحكيم وزوجته ملكة سبأ التي يسميها الأحباش ماقده ، أما أثر الإغريق والحضارة الهلينية ، فقد وصل عن طريق البطالمة في مصر ، ولعبت الثغور التجارية التي أنشأوها على ساحل البحر الأحمر الغربي دوراً هاماً في نقل الحضارة الهلينية إلى دولة أكسوم الناشئة ، وبدأ مظهر الحضارة الهلينية في التنظيم التجاري وإصلاح الموانئ وصيانتها وتنظيم الجيوش ، ونظم التعليم والإدارة.

تنسب المصادر الأثيوبية المترجمة من اليونانية دخول المسيحية إلى مملكة أكسوم إلى غلام يدعى فرومنتيوس استطاع بعد أن تقلد منصب راعي القانون وكاتب أكسوم تنصير الملك عيزانا الذي حكم في القرن الرابع وقيل الخامس ثم رحل إلى مصر فعيّنه بطريرك الأقباط أول مطران لأثيوبية، وأخذت الكنيسة الأثيوبية عن الكنيسة القبطية مذهب الطبيعة الواحدة وظل رأسها مطراناً مصرياً يسميه الأثيوبيون أبونا حتى منتصف القرن العشرين. بيد أننا لا نعرف شيئاً عن مدى انتشار المسيحية بين سكان أثيوبيا ولا عن ديانة حكامها في أواخر العهد

الأكسومي وما تلاه ما عدا لاليبلا باني الكنائس المنحوتة في المدينة التي نسبت إليه حتى إذا جاء القرن الثالث عشر بدأت الكنيسة تقدم السند الشرعي للحكام الجدد من الأسرة السليمانية فقابل الحكام، هذا الصنيع بمثله وأقطعوا الكنيسة مساحات واسعة من الأراضي وأذنوا لها بجباية ضرائب خاصة بها، فبنت بأموالها الطائلة عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة تجاوزت في نهاية عهد هيلاسلاسي ١٦ ألفاً، وبنت كذلك المدارس الدينية التي لم يكن في البلاد حتى نهاية القرن الماضي سواها، وهيمنت الكنيسة بذلك على حياة عامة الناس هيمنة تكاد أن تكون مطلقة بحيث لم يكن أحد يقدم على عمل إلا بعد مباركة القس وتقبيل يديه.

المسيحية في الحبشة

ظلت اليهودية منتشرة في الحبشة، سواء أكان ذلك بسبب الكهنة الذين أرسلهم سليمان أم عن طريق هجرة أخرى لليهود ، وقد قبل عدد كبير منهم المسيحية حيث تم ذلك عن طريق الخصي الحبشي وزير كنداكة ملكة الحبشة الذى جاء إلى أورشليم ، فقد تقابل مع فيلبس المبشر الذى أرشده إلى المسيح وعمده ووُرد في التاريخ ان القديس متى قد ذهب إلى هناك ، إذ انه لما بشر في آسيا ولاسيما في جهات اليمن ، ذهب إليها عن طريق باب المندب ، وهناك أجتذب الكثيرين إلى

المسيحية ، وقد لاقى ذلك ترحيباً كبيراً من اليهود هناك الذين كانوا متعطشين إلى ذلك لاسيما وأن لديهم الكثير من النبوات التى تخصها، ومما يؤيد كرازته هناك وفى آسيا معاً أن العلامة بنتينوس وجد نسخة من إنجيل متى باللغة العبرية في اليمن أو شبه الجزيرة العربية عند زيارته للمنطقة هناك في القرن الثاني الميلادى ١٨٦م وقد كان القديس متى معنياً بتبشير العبرانيين أينما وجدوا ويؤكد ذلك ما ورد في كتاب أخبار أكسوم وهو من تأليف حبشي مسيحي في القرن الرابع ، حيث يُذكر أن أول رسول مسيحي في الحبشة هو قهرمانة كنداكة ملكة الحبشة الذى ذكر تعميده لكن التاريخ الحقيقى لكنيسة الحبشة يبدأ في القرن الرابع الميلادى برسامة أول أسقف للحبشة وهو فرمنتيوس الذى سُيمَ بإسم سلامة والقصة المتوارثة عنه في التاريخ والتقليد انه كان برفقة أخيه اريسيوس مع تاجر كبير من صور ذى قرابة لهما ، وكانوا في طريقهم إلى الهند ، وفى الطريق احتاجوا إلى المؤن والماء فمالوا إلى إحدى الموانئ الحبشية ولعلها في إريتريا، فلما رآهم سكانها هجموا على السفينة لظنهم انهم من الروم الذين كانت العداوة مستحكمة بينهم في ذلك الوقت وقاموا بقتل من في السفينة ولم ينجُ إلا هما فحملوهما مع الغنائم وأهدوهما إلى الملك في أكسوم على مسافة ٢١٠ كم شمال شرق أوغندا وكانت قاعدة الملك ففرح بهما الملك وعينهما في وظائف

مرمُوقة ولما مات الملك اشتركا مع زوجته في الحكم وقد قام فرمنتيوس بتعليم وتهذيب ابنها فلما شب استأذن منها في العودة إلى بلدهما فعاد أريسيوس إلى صور بينما توجه فرمنتيوس إلى الإسكندرية ليُبلغ البابا اثناسيوس الرسولى بأخبار الحبشة حيث كان قد استغل مكانته هناك في نشر المسيحية بين رجال البلاط وبعض فئات الشعب ومن ثم فان الأحباش يحتاجون إلى رعاية روحية، فلما بحث البابا هذا الأمرجيداً مع الأساقفة استقر رأيهم على أن فرمنتيوس هو أنسب من يقوم بهذه المُهمة ، قائلاً له:أي رجل خلافك يكون مستحقا للقيام بهذه المُهمة فأرسلوه إلى هناك وزودوه بالكتب ، وعقب عودته إلى هناك أسقفًا قام بتأسيس كنيسة في أكسوم، تعد الأولى في تلك البلاد وكان ذلك سنة ٣٣٠م، ولذلك تعد أكسوم عند الأحباش مدينة مقدسة ويسمونها جورام وكانت مقر الأسقفية ولقد قدّم النجاشى الحبشي للأسقف الجديد الكثير من العون والتأييد حيث كان معلمه فيما سبق، وانتشار المسيحية في الحبشة كان على خلاف العادة ،فقد انتشرت المسيحية في الأقطار الأخرى أولاً بين عامة الشعب قبل وصولها إلى بلاط الحكام بعكس الحبشة التى انتشرت فيها في البلاط الملكى قبل عامة الشعب، وقد جاء ذكر تعيين فرمنتيوس أسقفا للحبشة في الاحتجاج الذى رفعه اثناسيوس الرسول إلى الإمبراطور قسطنطين

،ويقال أيضا أن قسطنطين قبل موته حاول إستقطاب الأحباش إلى المذهب الأريوسى ولكن مسعاه خاب بسبب رفض الملك هناك .

وقد ظلت الحبشة محافظة على ولائها للكنيسة القبطية، ورفضت الاعتراف بمجمع خلقدونية وقراراته ورفضت أيضاً الاعتراف بالبطاركة البيزنطيين الذين عينتهم الإمبراطورية الرومانية على مصر، واستمر تكريز المطران الحبشى بيد البطريرك القبطى فقط وظلوا يعتبرون الكنيسة القبطية أمهم والبطريرك القبطى أبوهم .

المسيحية الأثيوية لا صلة لها بالمسيحية الحبشية

من الملفت للاهتمام أنه رغم تدمير أثيوبيا في سنة ٣٧٠ بعد الميلاد في عهد عيزانا، فان المسيحية الأثيوبية السودانية لم تتأثر بمسيحية أكسوم الحبشية، ومن الممالك المسيحية السودانية نوباتيا في أقصى الشمال التي تأثرت بالمسيحية القبطية المصرية بينما تداخلت مملكة المقرة القوية في الوسط وتأثرت بالأقلية الأرثوذسكية اليونانية في مصر وبطريركية القسطنطينية من أجل معارضة مملكة نوباتيا، ليست هناك مؤشرات ملموسة حول مملكة علوة الصغيرة الواقعة جنوب هاتين المملكتين حول منطقة الخرطوم ورغم ذلك لاتوجد مؤشرات بتأثرها بأكسوم الحبشية، ففي مملكة نوباتيا كانت القبطية هي اللغة الرسمية والدينية، وفي المقرة كان الكهنة المسيحيين يقدمون النصوص

المقدسة حسب أحرف الهجاء اليونانية والتي تبدوا أنها استمراراً للغة الكوشية لمملكة مروي ونبتة – حيث كان يتم استخدام مخطوطات مقدسة وهيروغليفية لأكثر من ٧٠٠ سنة – قبل انهيار مروي في مملكة المقرة كانت اليونانية هي لغة الدين والكتاب المقدس، أما بالنسبة لمملكة علوة فليس بين أيدينا أي دلائل بالتالي ليس ثمة أثر للغة الجوعزية في المسيحية السودانية من القرن الرابع وحتى القرن السادس عشر.

هناك تزييف تاريخي مهم يتصل بالمسيحية الحبشية ودورتها الزمنية، إلا أنه لا يمكننا أخذ دعاية ملكية لمملكة قديمة وطرحه كقيمة في العصر الحديث، ففي الواقع اعتنقت الممالك المسيحية الأثيوبية السودان تدريجياً الإسلام، نوباتيا في القرن العاشر، المقرة في القرن الثالث عشر، وعلوة في القرن السادس عشر، إلا أنه من غير المنطقي أن اعتناق منظومة بلد كاملة بممالكها في سلسلة أحداث غير متسقة تنتهي بالادعاء باغتصاب اسمه، هذا الوضع لا يخول أي دولة اغتصاب اسم دولة أخرى، ولا يسمح بتحويل اسم أثيوبيا إلى الحبشة.

يل تحول اسم أثيوبيا إلى الحبشة صنيعة غربية ، فالغربيون يرون أن التحويل المعيب للحبشة إلى أثيوبيا باعتبارها مهمشة، وفقيرة، والتخلي عنها لتظل في ركب التخلف الدائم، وعلى الرغم من استخدامهم كافة

أساليب الحيل المهينة لم يقدم الغربيون للحبشة أي ضمانات لمساعدتها في بناء خزانها بالقرب من بحيرة تانا، فغرقت الحبشة في حرب أهلية مريرة عندما تم توهين شعوب الأرومو، والأوجادين، والعفر، وسيداما، وبلغ بها الخوف من مصر أن صرفت النظر عن فكرة بناء الخزان عند بحيرة تانا بحجة أن مصر وهي الدولة الأفقر مواردياً في منطقة الشرق الأوسط ستدمر الخزان إن تم بناءه.

ومع كل ذلك فان المستشارين الغربيين لهيلاسيلاسي الذين أقنعوه بتغيير اسم البلد كانوا يستهدفون بهذا التغيير السودان في الأساس وقصة تغيير اسم الحبشة لا تخص الحبشة فقط، فهي تلقي بظلالها سواءً على السودان الذي يعتبر المالك الحقيقي لإسم أثيوبيا، فالفرنسيون لم يريدوا أن يستخدم السودان اسم أثيوبيا إلا أن المؤامرة الفرنسية على أسم السودان الحقيقي تفاقمت بعد ذلك ليكون ضمن مخطط الإرهاب الإسلامي، فلو ترك السودان يبني هويته على قواعد الحضارة الكوشية الأفريقية، كان سيكون بمنأى عن مؤامرة القومية العربية التي حاكتها فرنسا تعليمياً، وثقافياً، وسياسياً من خلال وكلاءها للدكتاتوريات في المنطقة، ولما حدثت مأساة درافور الحالية .

العلاقة بين الكنيستين المصرية والأثيوبية

تعود العلاقة بين الكنيستين المصرية والأثيوبية إلى النصف الأول

من القرن الرابع الميلادى حين قام بابا الاسكندرية أثناسيوس الرسولي بسيامة أول اسقف لأثيوبيا وهو الانبا سلامه في عام ٣٣٠م ومنذ ذلك الحين جرى التقليد أن يكون رأس الكنيسة الأثيوبية أسقفا مصريا يرسله بابا الإسكندرية وبذلك تعتبر كنيسة الإسكندرية الكنيسة الأم لكنيسة أثيوبيا التى أصبحت بذلك جزءاً من كرازة مارمرقس الرسول واستمرت كنيسة الاسكندرية في سيامة وإرسال مطران كرسي أثيوبيا حتي عام ١٩٥٩ حين توجت كنيسة الإسكندرية الأنبا باسيليوس كأول بطريرك أثيوبي للكنيسة الأثيوبية بعد مراحل من المفاوضات بين الكنيستين استمرت من عام ١٩٤١إلي عام ١٩٥٩م وخلال تلك الفترة الطويلة من الزمن لعب أساقفة الأقباط دوراً مهمًا في أثيوبيا في تنظيم الكنيسة ورعايتها وفي تشكيل تقاليد الكنيسة الاحتفالية والتعبدية.

ومنذ تأسيس أبرشية أكسوم صار التقليد في أثيوبيا أن يشغل رئيس كنيستهم مطران قبطي يحصل علي الجنسية الأثيوبية بمجرد وصوله، ويظل بها لا يرحل حتي وفاته.

وكان في كثير من الأحيان الذى يختار المطران الجديد هم الأثيوبين أنفسهم الذين استقر عدد منهم في الأديرة المصرية ،وما أن يصل المطران الجديد إلا وتقام الاحتفالات الشعبية ويستقبله الإمبراطور وما أن يتنيح المطران حتي يسارع الأباطرة الأثيوبين بالرسائل والبعثات

والهدايا إلى بابا مصر في طلب مطران جديد، لأنه كان بالنسبة لهم مصدر الإلهام و البركة ولقد تعاقب على رئاسة الكنيسة الأثيوبية مائه واحد عشر مطراناً قبطيًا تميز بعضهم وكانت رسامتهم فى الإسكندرية / القاهرة حدثا فريداً في الكنيسة وكان المطران القبطى يحظى بتبجيل فائق من جميع افراد الشعب باعتباره راعيهم ومعلمهم الأول ورئيس الكنيسة وكان يعتبر الرجل الثاني بعد الإمبراطور وهو الرئيس الأعلى والفعلي للكنيسة وله مطلق الحرية للعمل دون الرجوع إلي البابا وقد أضيفت إلى مهام المطران القبطي رسمياً أواخر القرن الثالث عشر تتويج الملوك وإضفاء الشرعية عليهم بل كان له الحق في عزل الأباطرة إذا رأي أنهم خرجوا عن العقيدة.

وقد أضفى هذا أهمية ونفوذ كبير للمطران القبطي مما جعله ضرورة من ضرورات الحكم ومصدرا من مصادر استقرار البلاد.

وكان الولاء الأثيوبي لكرسى الإسكندرية ومطرانهم القبطي مثار لدهشة الكنائس الأخرى و كتب عنه الغربيون باعتباره لغزًا يحتاج إلى تفسير فحتى فى ظل الحرب المصرية الأثيوبية فى عهد إسماعيل باشا لم يتاثر ولاء الكنيسة الأثيوبية للمطران القبطي.

وخلال هذه الحقبة التاريخية الطويلة نقلت الكنيسة القبطية تراثها إلى أثيوبيا وجعلت منها كنبسة قبطية وخلال حقبة الأربعينات سافر إلى

أثيوبيا عدد من الأقباط الذين عملوا بها سنوات عدة في مجالات الزراعة والمحاسبة وبعض الوزارات وأطباء ومهندسون وفنيون في شركة الطيران الوطنية وهناك العديد من الرهبان الأثيوبيين الذين استقروا في أديرة مصر وكان أشهرهم الأب عبد المسيح الحبشى وتكلا هيمانوب الحبشى وكانت نقطة تحول في العلاقات والمطالبة بالاستقلال عام ١٩٢٦ عقب وفاة الأنبا متاؤس مطران أثيوبيا القبطي الذي استمر قرابة ال٤٠ عام فى الخدمة واجتمعت بين أيديه سلطة لم تجتمع لغيره من المطارنة الأقباط ، وكانت له مكانة كبيرة في أثيوبيا وبدأت مفاوضات استقلال الكنيسة الأثيوبية عن الكنيسة القبطية بداية من سنه ١٩٤١ حتى سنه١٩٥٩ حين قام كيرلس السادس برسامة أول مطران أثيوبي لكرسى أثيوبيا وهو الأنبا باسليوس.

وقطع التواصل بين الكنيستين قيام الحكم الشيوعي عام ١٩٧٤ بعد الانقلاب العسكرى بقيادة منجستو ضد الإمبراطور هيلا سلاسي الأول الذى تم إعدامه كما تم إلقاء القبض على المطران الأنبا ثاوفيليس حين عجز النظام الجديد عن إحتواءه وضمان ولاءه وانتهى الأمر بإعدامه وتعرضت الكنيسة في أثيوبيا الي هجوم شرس من الشيوعية حتى انتهى الامر بسقوطها عام١٩٩١ وبعد سقوط النظام تم انتخاب اسقف اثيوبى جديد للكنيسة وهو الانبا بولوس.

ثم بدأت الاتصالات لاستعادة العلاقات بين الكنيستين ، و في عام ١٩٩٣ زار مصر وفد أثيوبي لهذا الغرض وتم بالفعل عقد برتوكول ينظم العلاقة بين الكنيستين عام١٩٩٤ إلا أن العلاقات توترت بين الكنيستين عقب سيامة خمسه أساقفه اريترين فى عام ١٩٩٤ ومما أدى إلى توتر العلاقة بين الكنيستين بسبب حساسية العلاقة بين أثيوبيا واريتريا بسبب الحرب التى دارت بينهما وانفصال اريتريا عن أثيوبيا ورغبة أثيوبيا في أن تظل الكنيسة الأريتريةتابعة لها ومؤخرًا فى أبريل ٢٠٠٤ زار البابا شنودة الثالث أريتريا لتنصيب بطريرك جديد لها لأريتريا عام ١٩٩٩ ليكون أول بطريرك لها بعد الاستقلال، وهو ما جعل العلاقات تتوتر بين الكنيستين القبطية والأثيوبية.

يقول الأنبا موسي أحد أساقفة بعد استقلال اريتريا سياسيا ، لم تكن الكنيسة القبطية الارثوذكسية تمنعها من أن تكون كنيسة مستقلة وقد دارت الحرب بين اريتريا وأثيبويا بين عامي ١٩٩٨ و ٢٠٠٠ مما أوجد حساسية في علاقة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بأي منهم وحول دير السلطان يقول الأنيا موسى دير السلطان هو دير أثري قديم ملاصق لكنيسة القيامة بالقدس الشريف ، كان السلطان صلاح الدين الأيوبي قد أهداه للأقباط بسب مساهمتهم مع المسلمين في تحرير الأراضي المقدسة من الفرنجة وهذا ثابت تاريخًيا ، الا أن يعض الرهبان الأحباش

انتهزوا فرصة عدوان ١٩٦٧ و قاموا بالاستيلاء عليه بمساعدة إسرائيل، ورغم أننا حصلنا علي حكم من المحكمة الإسرائيلية بأحقيتنا في ملكية الدير إلا أن إسرائيل قالت إن هذا أمر سيادي لا علاقة لها به ، و حتي الآن يستولون على الدير بتشجيع من إسرائيل وهناك محاولات مستمرة لاستعادة الدير ساهم فيها السيد عمرو موسي و السيد أحمد ماهر ولكن ما تعودنا عليه من اليهود أنهم لا يحترمون أي حقوق مشروعة لا مع الفلسطينيين ولا معنا و هم لا يحبون البابا شنودة لمواقفه الوطنية ، ومنعه الأقباط من دخول الأراضي المقدسة في فلسطين الا بعد تحريرها ليدخلوها مع المسلمين.

تتميز العلاقات بين مصر وأثيوبيا واريتريا بأنها علاقات استراتجية وفي ظل الهواجس القائمة لدينا والتساؤلات عن ماذا يفعل الأثيوبيين بالنيل ؟ لا يمكن أن تقل هذه الهواجس بإقامة علاقات قائمة علي الأخذ والعطاء ولقد خاطب البطريرك الأثيوبى الأب بولوس وقالت له لماذا لا يتم تنمية علاقات شعبية بين البلدين خاصة أنكم تحتاجون إلى بعض الخبرات المصرية في عدد من المجالات وطلب منه أن ينسق في هذا الأمر مع الأرثوذكسية في مصر فهناك حاجة متبادلة بين بلاد حوض النيل لتبادل الخبرات و المصالح وهم يتطلعون لدور مصري أكثر عمقا فهناك سوابق وتاريخ للعلاقات التجارية ، وإذا ما تم تنسيق وتعميق

التعاون مع أثيوبيا فسوف تكون النتائج مذهلة فالشعب الأثيوبي يقدر مصر نظرا للعلاقات التاريخية القوية والكنيسة لها نشاط في أفريقيا جنوب الصحراء ولكن دورها مع الأزهر هام في المساهمة في أن تأخذ مصر موقعا متميزا في أفريقيا لما يمثلونه من قيادة روحية هامة ولقد عملت السياسة البريطانية منذ احتلالها لمصر على تصفية أملاك مصر في السودان وساحل أفريقيا الشرقي، وبالفعل تم ذلك فعقدت أثيوبيا معاهدة عدوة في سنة ١٨٨٤، أخذت من مصر بموجبها كل أملاكها في السودان الشرقي، وبذلك انتهت فترة العداء المباشر وحل محلها ما قد يطلق عليه العداء غير المباشر نتيجة لاحتلال بريطانيا لمصر وعداء فرنسا لها، مما أدى بالأخيرة إلى التحالف مع أثيوبيا والمهديين في السودان ضد بريطانيا ومصر التي كانت تطالب بعودة السودان إليها.

ولما وصلت الأمور إلى أقصاها وأصبحت تهدد بريطانيا واحتلالها لمصر، قررت انجلترا الاتصال بمنليك إمبراطور أثيوبيا وخليفة يوحنا الرابع وضمت السودان إليها وانتهت مرحلة العداء غير المباشر بين مصر وأثيوبيا ومع بداية القرن العشرين بدأت مرحلة جديدة يشوبها العلاقات الطيبة بين البلدين، فقد وقعت في سنة ١٩٠٢ معاهدة بين مصر وبريطانيا، أصبح للأخيرة نفوذ قوي لدى بلاط منليك وقد انعكست

هذه العلاقات الطيبة بين منليك وبريطانيا على علاقة أثيوبيا بمصر، إذ تحسنت كثيرًا عما كانت عليه في القرن التاسع عشر.

على أنه مع استقلال مصر الرسمي، تطورت هذه العلاقات الودية بينها وبين أثيوبيا تطورًا جديدًا، وان كان هذا التطور لم يصل إلى ما كان يجب ويتلاءم مع العلاقات الطبيعية والتاريخية بينهما ومع ذلك فقد استقبلت مصر بعد استقلالها لأول مرة ولي عهد أثيوبيا الراس تفري، الذى أصبح فيما بعد الإمبراطور هيلاسلاسي الأول ثم تم تبادل التمثيل السياسي بينهما، كما أعرب شعب مصر عن مشاعره الفياضة نحو الشعب الأثيوبي عندما وقف بجانبه في صراعه المستميت من أجل حفاظه على استقلاله ضد الأطماع الإيطالية التوسعية.

وكما كانت العلاقات السياسية بين البلدين غنية بأحداثها، فقد أوضح هذا البحث أيضا أن العلاقات الدينية بينهما لم تكن أقل غنى منها فقد بدأت هذه العلاقات الدينية منذ القرن الرابع الميلادي واستمرت حتى الآن، وحرص الأولى على الأخيرة وكفاحها ضد المجادلات اللاهوتية التي تفشت في كنيسة أثيوبيا، حتى نجح أحد المطارنة المصريين وهو الأنبا سلامة الثالث في القضاء عليها، وعودة المبادئ الأرثوذكسية

السليمة إليها مرة أخرى، وكان ذلك مع بداية ما عرف بعصر الوفاق الذي بدأ مع عصر الإمبراطور تيودور سنة ١٨٥٥.

وكانت مظاهر هذا الوفاق هي تحالف السلطة المدنية المتمثلة في الإمبراطور مع المطران المصري والكنيسة المصرية، وهو ما كان مفقود إبان الفترة التي سبقت تولية الإمبراطور تيودور العرش، ويعتبر عهد خليفته يوحنا الرابع العصر الذهبي للعلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وأثيوبيا وبين المطران المصري والإمبراطور، وقد استمر عصر الوفاق هذا طوال عهد منليك الثاني، إلا أنه في أواخر عهده بدأت العلاقات الدينية تهتز بسبب رغبة الأثيوبيين في السيطرة على دير السلطان دون الأقباط، إلا أنها مرت بسلام، وانتهى عصر الوفاق هذا بتدهور صحة منليك وتنازله عن العرش لحفيده لدج ياسو ويعتبر بدء عصر الخلاف، مع عهد لدج ياسو، الذي كان يرغب في تكوين دولة علمانية حديثة فبدأ ينال من سيادة الأنبا متاؤس ونفوذه، إلا أن عهده لم يستمر طويلا بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى وتدخل الحلفاء ضده للسياسة العدائية التي اتبعها نحوهم. مما أدى إلى عزله وتعيين زوديتو امبراطورة والراس تفري وليا للعهد وقد بدأ الأخير في رسم خطة للاستقلال الذاتي بكنيسته عن الكنيسة المصرية، وتنفيذها تدريجيا،

حتى نجح في تعيين أساقفة أثيوبيين لأول مرة وانتهى عصر الخلاف هذا بالحرب الإيطالية الأثيوبية والاحتلال الإيطالي لأثيوبيا.

ويحق لمصر أن تفخر بأنها أدخلت التعليم لأول مرة في أثيوبياحيث أن تأسيس مدرتسي منليك الثاني وهرر ، تم على أيدي المدرسين المصريين، وقد ظل المدرسون المصريون المرسلون من قبل البطريركية المصرية، يقومون بمهمة التدريس حتى طلبت، ولأول مرة أيضا، الحكومة الأثيوبية من الحكومة المصرية إرسال بعثة تعليمية حكومية إلى أثيوبيا حتى قيام الحرب الايطالية فتوقفت، وعاد المدرسون المصريون بسببها إلى مصر.

<u>انتشار الإسلام في شرقي إفريقيا</u>

بحكم طبيعة تكوينها العرقي والحضاري ارتبطت منطقة شرق أفريقيا ارتباطاً وثيقاً ببلاد العرب وإن أقدم ما عرف عن اتصال شعب الجزيرة العربية بشرقي إفريقيا كان اتصال شعب وادي الرافدين في عهد سرجون الأكدي الذي حكم العراق حوالي سنة ٢٧٠٩ ق.م فقد كشفت الحفريات عن نقوش سومرية وبابلية في ساحل شرقي أفريقيا ترجع إلى عهد هذا العاهل تشير إلى وصول شعب وادي الرافدين إلى هذه الربوع كذلك جاء العرب من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية علاوة

على مجموعات حوض البحر المتوسط فقد وفدت هجرات السبأيين بعد انهيار سد مأرب في اليمن ، ونجد أن التقاليد الثقافية والمعارف الحضارية التي جاءت بها الهجرات انصهرت مع الموروثات المحلية وأصبحت تشكل بدورها جزءًا من نسيج الوحدة في هذا المجتمع، ومما ساعد على تحقيق ونمو هذه العلاقة الناحية التجارية التي شكلت قدرًا مهمًا في نمو هذه العلاقة وانصهارها داخل مجتمع القرن الأفريقي، ويمكن القول بأن أكثر المجموعات العرقية تأثرًا بالهجرات السامية هما مجموعتا التيغري والأمهرا في أثيوبيا وبعد ظهور الإسلام فإن التواصل إزداد بين العرب المسلمين وسكان هذا الإقليم.

الحبشة والإسلام.. عداوة قديمة

والحبشة أو أثيوبيا تمثل تجسيدًا حقيقيًّا وتاريخًا كبيرًا في عداوة العالم الإسلامي، على الرغم من كونها المركز الثاني في الأرض الذي وصلت إليه دعوة الإسلام، عندما هاجر إليها عدد من الصحابة الهجرتين الأولى والثانية، وأحسن النجاشي استقبالهم وصدقهم، ثم آمن النجاشي بالإسلام واختلف مع بطارقته وقساوسته الذين أضمروا الحقد والحسد على المسلمين والإسلام، وأصبح هذا الحقد والبغضاء ميراث الكنيسة الحبشية التي يحرص القساوسة والرهبان الأحباش على نقله

وتوريثه من جيل إلى آخر، ويتضخم عبر العصور ويزداد مع الزمان، وتشحنه الأحداث، فكلما حقق المسلمون انتصارًا وفتحوا بلدًا، ازدادت عداوة الأحباش وتأججت نار أحقادهم ضد المسلمين.

فعندما تقدم المسلمون في أرض الروم وانتصروا عليهم في مواطن كثيرة، تحركت الأحقاد الحبشية وتربصوا بالمسلمين الدوائر وانتهزوا فرصة ثورة ابن الأشعث بأرض العراق سنة ٨٣هـ، وشجعت الكنيسة الحبشية بعض القراصنة الأحباش على الإغارة على جدة؛ فقاموا بالسطو عليها وتدمير السفن الراسية بالميناء، وقتلوا كل من استطاعوا قتله، ولاذوا بالفرار تحت جنح الظلام، فرد الخليفة عبد الملك بن مروان بإرسال حملة استولت على جزر دهلك في البحر الأحمر وجعلتها قاعدة لها وأقامت فيها حامية لرد أي عدوان حبشي، فارتدع الأحباش ولم يقفوا في وجه التجارة الإسلامية في القرن الأفريقي ولم ينتهِ القرن الهجري الأول حتى بنى المسلمون مدينة هرر، والتي غدت مركزًا إسلاميًّا مستقلاً تمامًا عن الحبشة، وظلت هرر مستقلة عن سلطان الأمهرية الحبشية حتى سنة ١٣١٤هـ ١٨٩٦م، وقامت هرر بدور بارز في نشر الإسلام في القرن الأفريقي خاصة في إريتريا التي أصبحت إسلامية بالكامل في بداية الخلافة العباسية، وخضعت إريتريا للخلافة العباسية وعُرفت باسم إقليم باضع، وهاجر إليها الكثير من المسلمين

العرب وتأسست مملكة إسلامية صغيرة في شرق إقليم شوا عرفت باسم السلطنة المخزومية، وذلك سنة ٢٨٣ هـ؛ فانتشر الإسلام في أقاليم الحبشة.

ورد الأحباش على هذا المد الإسلامي الجارف في بلادهم بالاضطهاد والتنكيل والقتل لمسلمي الحبشة، ومن شدة الاضطهاد استنجد مسلمو الحبشة بالسلطان أحمد بن طولون في القرن الثالث الهجري، وطلب بطريرك مصر من بطريرك الحبشة الكف عن أذى المسلمين، غير أن إمبراطور الحبشة ازداد في حربه على المسلمين وهدد بقطع مياه نهر النيل إنْ فكر ابن طولون في نجدة مسلمي الحبشة أي أن فكرة قطع مياه النيل ليست وليدة اليوم، إنما هي إرث الكنيسة الحبشية، وكارت الإرهاب الذي ترفعه أثيوبيا في وجه مصر منذ أكثر من ألف سنة.

التطور الطبيعي في تكوين الجماعات المسلمة أن تتحول إلى نظام اجتماعي وسياسي يدير شئونها الداخلية، ويحدد علاقاتها الخارجية مع من حولها، لذلك كان لابد من تطور الجماعات المسلمة من مجرد تجمعات ليست ذات قيادة مركزية إلى وضع مملكة أو سلطنة ذات قيادة موحدة، وسلطة مركزية وفقاً لمقتضى الشريعة الإسلامية، وتحولات المجتمع المسلم في بنائه الداخلي وترتيباته الإدارية، ومصادماته

العسكرية بل والفكرية وقد ظهرت الحاجة إلى دولة إسلامية في فترة مبكرة من تاريخ الإسلام في المنطقة، فقامت إمارة شوا في الهضبة الحبشية في القرن الأول الهجري، مما يعطي مؤشراً واضحاً عن مدى انتشار الإسلام وتغلغله داخل المنطقة وليس فقط على سواحلها الشرقية وفي هذه المرحلة تكونت المساجد، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتأسست مدن وحضارات علمية تمهد لمرحلة قيام الدولة، وعندها يتحسس المسلمون قوتهم ويشعرون بالانتماء الإسلامي ويجرون الاتصالات شبه المنتظمة مع الصف الإسلامي ويبعثون طلاب العلم إلى المراكز الحضارية العلمية للتزود من العلوم النافعة، إنها مرحلة فاصلة لقيام المجتمع والدولة المسلمة بكيانها الخاص وثقافتها المتميزة.

وكان لابد من ولادة، لكنها كانت عسيرة، ذلك أن المناخ المحيط، والثقافة السابقة الراسخة في المنطقة لابد أن تتحرك ضد هذا الوجود ، القادم من وراء البحار، ولكن كانت العزيمة والقوة التي بثها هذا الدين في نفوس أبنائه هي الترياق المضاد لكل محاولات الإحباط والعراقيل والشغب

<u>أثيوبيا ومحور الشر:</u> وفي القرن العاشر ظهرت القوة البرتغالية البحرية ونجح البرتغاليون في الدوران حول افريقيا، وهددوا جنوب الجزيرة العربية وهاجموا الموانئ في الخليج العربي والبحر الأحمر وانتصروا

على المماليك، واستولوا على مدينة زيلع الإسلامية وأحرقوها، فأرسلت ملكة الحبشة إلينى برسالة تهنئة وتناصر لملك البرتغال عمانوئيل، وهي رسالة تفيض بالحقد والكراهية على الإسلام والمسلمين، وفيها تعرض إلينى خدماتها على عمانوئيل، وهذا نصها: السلام على عمانوئيل سيد البحر وقاهر المسلمين القساة الكفرة، تحياتي إليكم ودعواتي لكم، لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر جهز جيشًا ضخمًا ليضرب قواتكم ويثأر من الهزائم التي ألحقها به قوادكم في الهند، ونحن على استعداد لمقاومة هجمات الكفرة بإرسال أكبر عدد من جنودنا إلى البحر الأحمر وإلى مكة أوجزيرة باب المندب، وإذا أردتم نسيرها إلى جدة أو الطور؛ وذلك لنقضي قضاءً تامًّا على جرثومة الكفرولعله قد آن الوقت لتحقيق النبوءة القائلة بظهور ملك نصراني يستطيع في وقت قصير أن يبيد الأمم الإسلامية المتبربرة، ولما كانت ممتلكاتنا متوغلة في الداخل، وبعيدة عن البحر الذي ليس لنا فيه قوة أو سلطان، فإن الاتفاق معكم ضروري؛ إذ إنكم أهل بأس شديد في الحروب البحرية.

وبالفعل احتلت الحبشة مملكة عدل سنة ٩٢٧هـ، وشعر العثمانيون وقتها بخطورة التهديدات الحبشية وخطورة الحلف الصليبي بين البرتغال والحبشة، فأسس العثمانيون قاعدة عسكرية بحرية كبيرة في مدينة زيلع، فقويت عزائم المسلمين واستعادوا مملكة عدل، واستعادت

الممالك الإسلامية مجدها واتسعت مملكة عدل حتى شملت الصومال والدناقل وهرر، وأوشكت الهضبة على السقوط، فاستغاثت الكنيسة الحبشية ببابا روما وعرضت عليه التبعية والخضوع لسلطانه، ولكن مع الاحتفاظ بالمذهب الأرثوذكسي وذلك سنة ٩٤٢هـ، فأرسل البابا جيشًا صليبيًّا بقيادة كريستوفر دي جاما -ابن فاسكو دي جاما الملاح الصليبي الشهير- غير أن هذا الجيش الصليبي هُزم شر هزيمة أمام جيش سلطنة عدل وقُتل قائده، واستطاع الإمام أحمد بن إبراهيم سلطان عدل أن يفتح إقليم تجرة سنة ٩٤٥هـ، وأوشكت مملكة الحبشة على السقوط، فأرسلت البرتغال قوات ضخمة لنجدة الأحباش، وجرت معركة رهيبة بين الطرفين عند بحيرة تانا في قلب الحبشة سنة ٩٥٢هـ، استشهد فيها أحمد بن إبراهيم وهُزم جيشه، فرد مسلمو هرر بالهجوم على الحبشة سنة ٩٦٧هـ وقتلوا ملك الحبشة.

الحبشة والدولة العثمانية

كانت أثيوبيا في ذلك الوقت تمر بأخطر فترة من فترات تاريخها السياسي والتي أطلق عليها عصر الفوضى الكبير، والتي هي جزء من عصر الفوضى الذي حدده المؤرخون بنهاية حكم الإمبراطور فاسيلداس في القرن السابع عشر وكان من العوامل المؤدية إلى هذه الفوضى

العزلة التي فرضها هذا الإمبراطور على البلاد بعد طرده للكاثوليك وشكه في الأجانب بصفة عامة فضرب سورا حديديا حول أثيوبيا ومنعت الثقافة والمدنية نتيجة لذلك من الدخول إلى البلاد. وزاد من أمر هذه الفوضى الحروب الطويلة التي خاضتها وقاست منها البلاد ثلاثة قرون أنهكتها انهاكا تاما، وزاد الأمر سوءا غزو قبائل الجالا للبلاد وتحكمها في أحوالها وأباطرتها وأخيرًا السيطرة القوية لرجال الدين على مظاهر الحياة الأثيوبية وقد أدى ذلك إلى تدهور المستوى الديني في البلاد وانتشار الخرافات والشعوذة وازدادت ثروات رجال الدين نتيجة لامتلاكهم ثلث الأراضي والإنتاج في البلاد.

وقد اختلف المؤرخون على نهاية عصر الفوضى هذا. فذكر بعضهم أنه ينتهي بتولية تيودور الثاني العرش في سنة ١٨٥٥، وذكر آخرون أن عصري تيودور ويوحنا الرابع كانا محاولات وتمهيدا لخلق أثيوبيا الحديثة في عصر منليك الثاني أي أن عصر الفوضى استمر حتى بداية حكم هذا الإمبراطور الأخير وفي داخل عصر الفوضى هذا حدد المؤرخون فترة زمنية أطلق عليها عصر الفوضى الكبير ويبدأ بنهاية حكم الإمبراطور تكلاهيمانوت في أواخر القرن الثامن عشر وحتى بداية حكم الإمبراطور تيودور الثاني سنة ١٨٥٥ وهي فترة امتدت إلى أكثر من سبعين عاما وعلى هذا تكون الصورة كالآتي: عصر الفوضى يبدأ

من سنة ١٦٦٥، وينتهي في سنة ١٨٨٩، أما عصر الفوضى الكبير فيبدأ من نهاية حكم الإمبراطور تكلاهيمانوت في أواخر القرن الثامن عشر وينتهي ببداية حكم الإمبراطور تيودور سنة ١٨٥٥.

ولقد بدأ خورشيد باشا ، بعد أن هدأت أحوال السودان الداخلية، في الإغارة على حدود أثيوبيا والتوغل فيها ، فخضع الأهالي شرقي القضارف كما خضع الشيخ ميري زعيم التكارنة في القلابات وكثير من الشيوخ والزعماء على طول الحدود الأثيوبية وكانوا كلهم مطالبين بدفع جزية من الرقيق، وكان هذا يدفعهم إلى الاغارة على المناطق الأثيوبية لصده ولم يكتف خورشيد بذلك بل زاد من غاراته على الحدود الأثيوبية متتبعا القبائل الهاربة من الضرائب نحو الهضبة الأثيوبية وبالرغم من عدم وجود مركز مصري ثابت في ذلك الحين في منطقة التاكة، فقد وصلت الغارات المصرية في سنة ١٨٣٢ إلى أبعد من سبدرات شرق كسلا ومع أنه هزم في سنة ١٨٣٤ على يد الهدندوة ، فإن السنوات التالية شهدت استمرار الغارات المصرية طمعا في الماشية والرقيق حتى اعترفت قبائل هذه المنطقة بسيادة باشا مصر عليها واستمر الضغط المصري أيضا فيما بين عطبرة والرهد واعتبرت المتمة في سنة ١٨٣٤ ضمن الأراضي الداخلية في الإدارة المصرية للسودان .

ونتيجة لنشاط الملك نمر، فقد ركز المصريون جهدهم في منطقة شرق القضارف وما بعدها على الحدود الأثيوبية لمقاطعة مالكتي والتي كان يستخدمها الملك وحلفاؤه من زعماء القبائل السودانية الهاربة، كقاعدة لغاراتهم وكان محمد علي يهتم بهذه الطرق لمكاسبها ولأنها إحدى الوسائل التي تدعم الاستقرار وتزيد من ميزانية الدولة التي يحتاج إليها لذلك فقد رصدت مكافأة لمن يأتي برأس هذا الملك الذي كان يمثل شوكة في جانب الإدارة المصرية ولكن بدون نتيجة لحماية الأثيوبيين له وفي نهاية سنة ١٨٣٤ أغار الملك نمر على سنار، فاضطر المصريون إلى الاغارة على ماليكت وطلب المصريون من الحاكم الأثيوبي أوبي تسليم الملك نمر ولكنه رفض ذلك .

وفي مايو سنة ١٨٣٧ دخلت قوات مصرية كبيرة المتمة ومعهم زعيم التكارنة في القلابات وبدأت تتقدم إلى جندر ناهبة وحارقة المناطق التي تعبرها وفزعت العاصمة الأثيوبية واعتقدت أن نية المصريين نهب المدينة، وبسرعة جمع كيفنو حاكم دامبيا جيشه وحارب المصريين الذين كانوا يتأهبون للعودة إلى القلابات وهزمهم في موقعة كالنابو بالقرب من رشيد وقتل وأسر الكثير من القوات المصرية وقتل أيضا الشيخ ميري زعيم التاركنة وعادت القوات الأثيوبية بعد انتصارها وعاقبت أهالي المتمة ثم رجعت إلى دامبيا وأعلم كيفنو خورشيد باشا

بأنه إذا جرؤ المصريون مرة أخرى على الدخول إلى الأقاليم الأثيوبية فانه سينزل إليهم بجيش ضخم ليؤدبهم وقبل خورشيد باشا هذا التحدي وزحف في النصف الثاني من سنة ١٨٣٧ إلى المتمة ووكهني على بعد مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة من جندر العاصمة الأثيوبية على أنه لم يقابل أي جيش أثيوبي، فرجع إلى القلابات بلا قتال فحصنها وزاد حاميتها وعاد إلى الخرطوم .

واستمرت قوات خورشيد باشا في أعمالها على طول الحدود الأثيوبية وكهني وفازوغلي وطلب من مصر أن ترسل له مددا حربيا ليدعم به قواته فأرسلت له كتيبة ولقد كان من نتائج تصاعد العمليات الحربية بين مصر وأثيوبيا وإرسال مدد إلى السودان في نظر القناصل الأوروبيين في مصر أن الموقف أصبح خطيرا ومهددا بالانفجار مما دعا بريطانيا أن تبلغ محمد علي عن طريق قنصلها في مصر سنة ١٨٣٧، بأنها قلقة بالنسبة لتصاعد هذه العمليات ولا ترضى عنها حكومة بريطانيا التي تحافظ على استقلال أثيوبيا وكان أوبي حاكم تيجري يحتج لدى أصدقائه الفرنسيين لاعتداءاتهم وبسبب النفوذ الفرنسي الذي كان سائدا في عهد محمد علي، قرر الأخير سحب حكمداره خورشيد باشا من السودان في مارس سنة ١٨٣٨ وقل النشاط الحربي بين الإدارة المصرية وأثيوبيا في عهد أحمد باشا أبو ودان الذي خلف خورشيد باشا في حكمدارية

السوادن، وأصدر محمد علي أوامره إلى حكمداره أثناء مغادرته لسنار في بداية سنة ١٨٣٩ بأن يهتم بفتح طرق القوافل والتجارة – ولو بالقوة إذا لزم الأمر – بين السودان وأثيوبيا والتي كانت من قبل تمثل مصدر دخل هام للسودان وكان هذا الطريق قد أصابته الاضطرابات بسبب غارات الملك نمر وحلفاؤه من رؤساء القبائل الهاربة من الإدارة المصرية وأيضا بسبب رجال العصابات وقطاع الطرق الأثيوبيين والرؤوس الأثيوبيين .

لذلك ففي عامي ١٨٤-١٨٤١، ركز أحمد باشا جهوده في النيل الأزرق وفي منطقة السافانا الشاسعة التي تمتد بين النهر والجبال الأثيوبية وساحل البحر الأحمر ففتحت التاكه وأسست مدينة كسلا في المعسكر الذي أنشأه أحمد أبو ودان لجيشه لشن الحملات على الحدود الأثيوبية الشمالية وكان هناك نوع من الحروب المتقطعة على الحدود بين الحامية المصرية والقبائل الأثيوبية وأعاد ضم اقليم التاكه إلى الإدارة المصرية في السودان مشكلة سواكن ومصوع مرة أخرى وكان محمد علي يجدد محاولاته دائما حتى تأذن له الدولة العثمانية في ضمهما للإدارة المصرية بالرغم من انسحابها منها سنة ١٨٢٦ ولقد أصبحت مصر في أمس الحاجة إلى موانئ على الساحل لتشجيع عمليات النقل والتجارة ،والواقع أنه منذ خروج الإدارة المصرية من مصوع ،

والرؤوس الأثيوبيون يتطلعون إلى أن يكون لهم فيها نفوذ قوي أو يحتلونها أو تكون في أيدي صديقة لهم، وذلك بغرض تسهيل عملية وصول الأسلحة النارية إليهم وكان من أوائل الرؤوس الذين يرغبون في ذلك رؤوس مقاطعة تيجري القريبة من مصوع. وقد حاول سباجاديس حاجم تيجري دعوة إنجلترا لاحتلال مصوع أو اعطائها له وذلك بهدف تسهيل عملية استيراد الأسلحة النارية له والتي ستساعده فى تدعيم مركزه بين حكام أثيوبيا وفي نفس الوقت أرسل إلى محمد علي برسالة يطلب فيها وده، وربما كان يقصد تحذيره أو إبعاده عن ما يرمي إليه وعلى أي حال فقد أرسل إليه محمد علي يشكره على عباراته الرقيقة، وأهداه بعض الأسلحة وخلافه وطلب منه الاستمرار في المراسلة وربما رفض محمد علي محالفته أو مصادقته خشية أن ينتج عنها سيطرة هذا الحاكم الأثيوبي على مصوع أو زيادة نفوذه عليها، مما قد يساعد على فقدان الدولة العثمانية لنفوذها في المنطقة وكان محمد علي يحافظ على دورها وتأييدها في الدور الأول من حكمه والذي ينتهي في سنة ١٨٣٠ ولأن محمد علي كان مشغولا بحروب المورة والاضطرابات التي في الحجاز، مماجعله لا يركز جهوده في السودان فقد كان يمر بمرحلة دقيقة بعد الاضطرابات التي سببها الدفتردار لينتقم لمقتل إسماعيل بن محمد علي وبذلك نجد أن محمد علي لم يحاول أن

يصعد الموقف أكثر من ذلك ولقد شعر العثمانيون بعجزهم عن السيطرة على هذه المناطق إزاء نشاط الرؤوس المتكرر مستغلين في ذلك توتر العلاقات بين محمد علي والباب العالي ومحاولين انتزاع حقوق السيادة على ساحل البحر الأحمر الأفريقي لأنفسهم فساروا يتعدون بين الحين والآخر على استقلال نواب أركيكو وغيرهم من حكام الشاطئ الصغار ، بل لقد عرض أحدهم وهو أوبي حاكم تيجري على فرنسا أن يتنازل عن خليج أمفيلا لكن فرنسا رفضت هذا العرض كما رفضت أن تشمله بحمايتها في مقابل تنازله عن خليج أركيكو وكل تجارة السهل الساحلي لها مدعيا أن هذه المنطقة كانت خاضعة للرؤوس الأثيوبيين بينما لم يكن الأتراك يملكون سوى جزيرة مصوع فقط كما حاول أن يبسط نفوذه بنفسه على الساحل ويحتل جزيرة مصوع نفسها ومن ثم فقد توغلت قواته في اقليم سمهر وذلك في سبتمبر سنة ١٨٤٤إلا أنه سرعان ما غادرها عندما وصلت القوات التركية وأجبرته على ذلك وبالرغم من ذلك فقد ظلت منطقة الحدود التي تفصل سمهر عن أثيوبيا مسرحًا لنفس حوادث الغزو والسلب التي كانت تجري في الماضي لهذا فقد رأى الباب العالي إجابة طلب محمد علي بشأن ضم سواكن ومصوع إليه وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٨٤٦، فأجرتها له مدى حياته وفي مارس سنة ١٨٤٧ جاء إسماعيل للاضطلاع بشئون الإدارة في مصوع وسواكن

من قبل الحكومة المصرية، كما جاءت قوة حربية مصرية لتتفقد أحوال ساحل البحر الأحمر الأفريقي حتى باب المندب وشرع حاكم مصوع المصري في إعداد إحصاء تقريبي للقبائل المنتشرة على طول الساحل بين سواكن وبررة توطئة للاستيلاء على كل الساحل الأفريقي حتى رأس غردافوي باسم والي مصر وقد لفت أوبي حاكم تيجري نظر الحاكم المصري الجديد لمصوع إلى أن يتذكر أن الساحل كله ملك لأثيوبيا وأجابه الحاكم المصري بأن مصوع وأركيكو من أملاك السلطان العثماني وأنها أصبحت الآن من أملاك نائبه محمد علي وتبع رسالته هذه بضرب أركيكو بالقنابل من البحر وأرسل أوبي قائده ليغير على ضواحي مصوع ليسلبها .

ومن ثم فقد تعددت الأسباب التي جعلت محمد علي يقرر غزو أثيوبيا وضم الأراضي في ساحل البحر الأحمر الغربي التي كانت للعثمانيين حقوق عليها منذ القرن السادس عشر من ذلك فشل حكومة مصر في إنشاء علاقات طيبة مع حاكم جندر باعتبار أنه صاحب السلطة المركزية في أثيوبيا وكان محمد علي منذ أن تخلى عن فكرة غزو هذه البلاد يرى أن من حسن السياسة توثيق العلاقات الطيبة معها لا سيما وقد صارت الأراضي المصرية بعد امتلاك مصوع متاخمة لأثيوبيا لذلك فقد أرسل محمد علي إلى هذا الحاكم رسولًا يعرض عليه صداقته إلا أن هذا

الرسول لم يصل إلى جندر فقد أوقفه حاكم تيجري، واغتصب الهدايا المرسلة من محمد علي إلى حاكم جندر ثم رد الرسول إلى مصر بعد أن أرسل معه إلى محمد علي قميصا أبيض من القطن وثوبا من ثياب البلاد الوطنية ومبلغا من المال .

وكان محمد علي صادقاً بالفعل في رغبته هذه بتحقيق السلام وتبادل العلاقات الطيبة مع أثيوبيا فقد ذكر للقنصل الفرنسي العام في مصر أن حكمدار السودان سوف يوقع معاهدة سلم وسلام مع الأقاليم الشمالية الأثيوبية وأضاف أن العداوة بين الشعبين المصري والأثيوبي لم تكن جدية ولكن يجب المحافظة على طرق القوافل التجارية ، فاذا لاقت المتاعب فان حاكم السودان سيرسل إلى الحدود لفتح هذه الطرق التجارية وبذلك فشلت هذه المحاولة وكان من أسباب توتر العلاقات بين مصر وأثيوبيا ، استمرار اعتداء الملك نمر على الإدارة المصرية في السودان إذ كان يقوم بغاراته من والكيت على حدود السودان الشرقي وإحدى المقاطعات الأثيوبية، ويشجعه أوبي الذي عينه رأسا على هذه المقاطعة بل إنهم لم يكتفوا بذلك، بل استمروا طوال حكم محمد علي في مهاجمة الحدود السودانية سواء في كسلا أو في القلايات ، ولذلك فقد رأت الحكومة المصرية أن ترسل حملة من سواكن ومصوع لغزو أثيوبيا والاستيلاء على جميع أراضي سواحل البحر الأحمر العربي التي

دخلت في حوزة الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن السادس عشر على أن ذلك لم يتم بسبب وفاة محمد علي .

العلاقات في عهد عباس الأول

رأي عباس الأول بعد توليه عرش مصر، أنها لا تستطيع أن تقوم بالاشراف على مصوع وسواكن وتعزيز السيادة المصرية العثمانية على طول ساحل البحر الأحمر الأفريقي حتى رأس غردافوي، وذلك بسبب خروجها من صراع طويل مع الباب العالي أدى إلى انهاك قواها ومواردها، وبالتالي أصبحت في حاجة إلى فترة استجمام تستعيد فيها نشاطها وتصلح أحوالها لذلك اتخذ خطه تتفق مع قدرة مصر على تحمل عبء الحكم الاداري في هذه المناطق فأعاد مصوع وسواكن إلى الدولة العثمانية، وعلل ذلك بأن هذين المينائين يبعدان كثيرا عن مركز الحكومة المصرية في الخرطوم والقاهرة، وبالتالي يصعب ارسال النجدات إلى هذه المناطق البعيدة بسرعة، فضلا عن أنه كان يخشى حدوث احتكاك بين السلطان المصرية وقناصل الدول هناك وفي أثيوبيا .

وبالاضافة الى ذلك، فقد كان الأثيوبيون يشعرون بأن لهم حقوقا قديمة على جميع ممتلكات مصر الواقعة جنوب أسوان، لذلك تخلى عباس عن مصوع تجنبا للاحتكاك معهم وان كان قد عمل على توطيد

سلطة الإدارة المصرية في السودان وتأمين حدودها، وذلك ليمنع الأثيوبيين من الاعتداء عليها أي بمعنى آخر تخلى مصر عن غزو أثيوبيا والاحتكاك بها، وفي نفس الوقت صد اعتداءاتها بقوة على حدود السودان الشرقية وكانت الحدود بين السودان وأثيوبيا غير متفق عليها، وذلك بالرغم من محاولات مصر في عهد محمد علي للوصول إلى اتفاق بشأن تحديدها، لأن أثيوبيا لم تكن تعترف بشرعية امتلاك مصر لبعض مناطق الحدود وقد أدى ذلك الى اضطراب العلاقات بين مصر وأثيوبيا، وساعد على ازدياد اضطرابها، أن مناطق الحدود هذه كان يسكنها قبائل رحل لا يسهل بقاؤهم في مكان واحد، ولا يسع مصر السيطرة عليهم، بل كان الأثيوبيون يشجعون شيوخ الجهات المجاورة لهم من السودان على الخروج على سلطان الإدارة المصرية واعلان العصيان كما اعتاد حكام أثيوبيا على الاغارة على الأقاليم المجاورة لهم ونهبها ، مما أدى إلى اهتمام الإدارة المصرية بتدعيم حامياتها حتى تستطيع صد هذه الغارات ، بل شنت هي أيضا غارات على الحدود الأثيوبية .

وقد زاد من تدهور العلاقات بين الإدارة المصرية في السودان وأثيوبيا واضطراب الحدود بينهما غارات الملك نمر وأولاده ففي حكمدارية عبد اللطيف باشا في عهد عباس، ثار تكارنة القلابات من

جراء تعديات هذا الملك وأولاده، فأعدوا حملة قوية لقتالهم، إلا أنهم لقوا هزيمة قاسية على يد هذا الملك وحلفائه من القبائل الأخرى الهاربة من الإدارة المصرية وقد شارك الراس عالي في غنائم هذه الموقعة، حيث كان يأخذ دائمًا عشر الغنائم، كما كان يضفي حماية على الملك وأولاده وانتشر خبر هذه المعركة في جميع أنحاء السودان، مما نتج عنه ازدياد عدد الفارين من الأهالي إلى الملك نمر وكان يدفعهم إلى ذلك الضرائب الباهظة المفروضة عليهم والقسوة التي اتبعت في جبايتها ، وقد أخذ هؤلاء الفارون، ومعهم الملك نمر وأولاده، في إثارة الفتن والقلاقل على الحدود السودانية الأثيوبية، مما أدى إلى سعي الإدارة المصرية في السودان إلى الاتصال بالراس عالي والد جزماتش كاسا حاكم اقليم كوارا، لإعادة هؤلاء الهاربين إلى أوطانهم ، على أن شيئا مما سعت إليه الإدارة المصرية لم يتحقق، بل لم تخف حدة الاعتداءات على أراضي السودان، وانما تكررت عدة مرات، وازداد هرب الأهالي وبعض الزعماء السودانيين ، وازاء ذلك طلب حكمدار السودان سليم باشا الجزايرلي من حكومة القاهرة، تدعيما حربيا من الجنود والذخيرة لتقوية مناطق الحدود وصد الغارات الأثيوبية .

وبالرغم من مساهمة الراس عالي في اضطراب الحدود السودانية، إلا أنه كان على علاقة ودية مع عباس الأول والي مصر فقد أرسل

مندوبا يدعى احكيبي مسره مريم إلى مصر في أكتوبر ١٨٥٢، لحل بعض المسائل المتعلقة بين البلدين وكان أهم هذه المسائل اثنتين: الأولى ما يتعلق بدير السلطان وبرغبة الراس عالي في استرجاعه، على أنه نتيجة لعدم وجود بطريريك للأقباط في ذلك الوقت، أرجأ عباس بحث هذا الموضوع وكتب إلى الراس عالي بذلك والثانية، تتعلق بالبطريرك الجديد واختياره، وكان هناك اتجاه لتعيين القس داود خلفا للبطريرك الراحل بطرس السابع وكان هذا القس قد ارسله البطريرك الراحل مندوبا له لحل بعض المشاكل الدينية في أثيوبيا، كان من نتائجها أن اتخذ هذا القس موقفا عدائيا تجاه الراس عالي ووالدته والأتشيجي وما يمثلوه من هرطقة دينية مؤيدا في ذلك الأنبا سلامة الثالث مطران أثيوبيا ضدهم وقد أثار ذلك حنق الراس عالي عليه، مما جعله يرسل مندوبه هذا لكي يحول دون تعيين القس داود بطريركا ويهدد بقطع العلاقات الدينية بين مصر وأثيوبيا في حال تعيينه وبالفعل فقد تأثر عباس الأول بما عرضه المندوب، وعارض في بداية الأمر تعيين هذا القس بطريركا، ولم يوافق إلا بعد انتهاء حكم الراس عالي وتدخل القنصل العام الانجليزي في مصر، وأصبح داود بطريركا باسم كيرلس الرابع .

وبالرغم من هذه العلاقات الطيبة السلمية وحرص عباس الأول على الحفاظ عليها فان العلاقات المتدهورة بين أثيوبيا والإدارة المصرية في السودان ظلت كما هي فقد استمرت اعتداءات الحدود يشجعها حكام أثيوبيا مؤيدين لأعمال أولاد الملك نمروذلك بالرغم من أن عباس الأول كان يأمر حكمداريه في السودان بالعمل على إزالة أسباب التوتر على هذه الحدود بالطرق السلمية .

وقد ظل هذا الوضع المضطرب على حدود الإدارة المصرية في السودان مع أثيوبيا طوال حكم عباس الأول وبداية حكم سعيد باشا، عندما روعت السودان، بسبب انتصار كاسا على منافسيه من حكام أثيوبيا الآخرين، ونشره برنامج مشروعاته واصلاحاته ومنها غزو السودان حتى الخرطوم والوصول بحدود امبراطوريته إلى القدس

العلاقات في عهد سعيد باشا

في الوقت الذي كان كاسا يضع اللمسات الأخيرة لتوحيد أثيوبيا تحت حكمه، اذ لم تحل هذه السنة إلا وكان حاكما على جندر وجوجام بعد أن هزم الراس عالي وحاكم جوجام، ولم يكن يناصبه العداء سوى حاكم تيجري وعاهل سوا فقط، ولكن كاسا سرعان ما تغلب على أوبي حاكم تيجري، وتوج في ٧ فبراير سنة ١٨٥٥، امبراطورا على أثيوبيا باسم

تيودور الثاني وكان سبب اختياره هذا الاسم، اسطورة أثيوبية قديمة ظلت متداولة حتى عهده، واعتقد الناس أن الوقت قد حان لتحقيقها، وقد آمن تيودور بها ايمانا شديدا حتى اعتقد أنه اختير لتحقيقها وكانت هذه الأسطور تقول، أنه سوف يظهر ملك أثيوبي من سلالة سليمان، ويعترف به كأعظم شخص على الأرض، وتمتد سطوته على كل أثيوبيا ومصر، وسيكون سيفا مصلتا على الكافرين خارج فلسطين ويطهر القدس ويخلصها من المسلمين، ويحتل عرش سليمان الحكيم، ويدعى تيودوروس ولذلك فقد كان تيودور يطمح إلى أن يوقع هزيمة ساحقة بالمصريين في السودان، ثم يحول مياه النيل إلى مجرى آخر ليتم له خراب مصر واخضاعها كذلك يرغب في الاحتلال الدائم لمنطقة القلابات واخضاع مديرية سنار كما كان يبدي استياءه من احتلال الأتراك لموانئ أثيوبيا البحرية (سواكن ومصوع)، للدول الأوروبية ومندوبيها، ويرغب في طردهم منها ولتحقيق آماله هذه، كان عليه أن يوحد أثيوبيا، لذلك فقد انشغل في بداية عهده بتوطيد حكمه في تيجري وشوا، التي استولى عليها في نوفمبر سنة ١٨٥٥، ثم بعد ذلك يحارب المصريين وربما كان هذا تفسيرًا منطقيًا للعلاقات الطيبة التي كانت موجوة بين مصر وأثيوبيا في بداية عهده، اذ ليس من المعقول أن يفتح جبهة جديدة قوية ومركزه ما زال مهددا في أثيوبيا ومما يؤكد ذلك أن الإمبراطور تيودور أرسل

في يونيو عام ١٨٥٥ رسالة مصحوبة بالهدايا ومعها رسالة من مطران أثيوبيا سلامة الثالث، بقصد اقامة علاقات طيبة مع مصر وقد رحب بها سعيد باشا وأمر حكمداره بأن يعمل على حل مشاكل الحدود وهروب سكانها، عن طريق تبادل الرسائل الودية بينه وبين حكام أثيوبيا المجاورين للحدود، أي أن يتبع طريق المفاوضة السلمية بدلا من شن الحرب وذلك تمشيا مع رغبة تيودور في السلام ويبدو أن تيودور اتخذ هذه السياسة المزدوجة تجاه مصر، لعدم استطاعته مواجهتها في ذلك الوقت لذلك قرر تدعيم قواته ومدها بالأسلحة الحديثة المتطورة، وفي نفس الوقت شجع العمليات الحربية العدوانية على الحدود وطلب من الدول الأوروبية أن تمده بالفنيين العسكريين لتصنيع السلاح وتطويره في بلاده، هذا في الوقت الذي أظهر لمصر النوايا الحسنة وفي ضوء هذه السياسة، استمرت غارات الملك نمر وبعض الرؤوس الأثيوبيين بل انتشرت في القاهرة أخبار تقول أن تيودور بدأ يعد لهجوم كبير على الحدود الشرقية للسودان، وقد كانت هذه الشائعة من الأسباب التي جعلت سعيد يفكر في زيارة السودان لوضع حد لهذه المشاكل التي ثارت بين الإدارة المصرية في السودان وأثيوبيا وأن الهدف الأول لرحلته إلى السودان هو التحضير لهذا الغزو،ولكن السلطان العثماني هو الذي منع سعيد من غزو أثيوبيا، ونصحه بارسال بطريرك الاقباط ذي المنزلة

الرفعية في أثيوبيا إليها، لعله ينجح في الوساطة ويعيد العلاقات الطيبة بين البلدين وسافر البطريرك مزودا من سعيد باشا بهدايا ثمينة للامبراطور الأثيوبي وبرسالة إلى حكمداره بالسودان، أدعى فيها أن سفر البطريرك هذا جاء بسبب مرض مطران أثيوبيا وعدم استطاعته القيام بواجباته الدينية، مما دعا البطريرك إلى السفر بنفسه إلى أثيوبيا للإشراف على الكنيسة الأثيوبية، وطلب منه أن يسهل مهمة البطريرك في الذهاب والإياب كما أن سعيد لم يذكر الهدف الحقيقي لمهمة البطريرك حرصاً منه على سريتها وضماناً لنجاحها، حتى لا يفهم خطأ أن مصر لا تستطيع محاربة تيودور، أو أنها لجأت إلى التهدئة والمفاوضات مما قد يثير التساؤلات في السودان وينتج عنها استهتار السودانيين بالسلطة وازدياد اضطرابات الحدود وهجرة المزيد من زعماء وقبائل السودان إلى الحدود وإلى أولاد الملك نمر وبذلك نجد أن سعيد باشا فعل كل ما هو مناسب وملائم لهيبته وهيبة مصر، لكي يحافظ على السلام والأمن ومع ذلك فقد احتاط سعيد من نتائج فشل مهمة البطريرك وأعد العدة للحرب في حالة فشل البطريرك في مهمته، فعزم على السفر إلى السودان ليشرف بنفسه على الشئون الحربية، وتظاهر بأن الغرض من رحلته إلى السودان هو الوقوف على حالة أهله وبالفعل قام سعيد برحلته، وصحبه عدد من الأجانب من بينهم فردينانند دليسبس

وعدد من النبلاء، بالاضافة إلى قوة ضخمة من القوات المصرية وعندما علم الإمبراطور تيودور بوصول البطريرك إلى حدود بلده، خف إلى لقائه مرحبا به وسار معه حتى دخل عاصمة ملكه مجدالا معه في ديسمبر سنة ٨٥٦ وشاع الخبر في أطراف البلاد فعم الفرح وأقيمت الصلاة في جميع الكنائس الأثيوبية وتفاوض البطريرك مع الإمبراطور بشأن وقف عمليات اعتداء الجنود الأثيوبيين على الحدود السودانية، وتحديد الحدود بصفة نهائية بين أثيوبيا والسودان، وأحرز البطريرك نجاحا في مفاوضاته هذه ، وطلب الإمبراطور أن يقوم بتتويجه فوافق البطريرك ، وهذا يعني اعتراف الحبر الأعظم للكنيسة الأثيوبية به امبراطورًا للبلاد مما يقوي مركزه ويدعمه ازاء مناوئيه فكانت فرصة لأن يدعو الإمبراطور جميع حكام أثيوبيا وأمرائها وقوادها إلى حفل تتويجه الثاني على يد البطريرك ، ليظهروا التفافهم حول الإمبراطور ويقسموا يمين الطاعة والولاء ورأى البطريرك في احتياج الإمبراطور إلى عمال فنين متخصصين في صناعة الأسلحة وتدريب جيوشه، فرصة لتوثيق العلاقات المصرية الأثيوبية، فعرض عليه مساهمة مصر في امداده بكل ما يحتاجه في تكوين جيش قوي حديث فطلب البطريرك من الإمبراطور الموافقة والتوقيع على مشروع خطاب موجه منه إلى سعيد باشا ، ليرسل له ضباطا وعساكر مصريين وأسلحة لتدريب وتدعيم

جيشه وذكر بلودون في كتابه، أن بعضهم، ربما يكون من المبشرين البروتوستانت الذين جاءوا إلى أثيوبيا لنشر الدين المسيحي على مذهبهم تحت ستار أنهم حرفيون في صناعة السلاح، وهو ما كان يطلبه تيودور ويلح في طلبه من الدول الأوروبية، اعتقدوا أن طلب البطريرك هذا يهدد وجودهم ومهمتهم في البلاد، ولذا فقد بدر منهم ماجعل الإمبراطور يثور ويغضب على البطريرك

وبالرغم من حاجة تيودور للمعونة العسكرية ، فإنه لم يكن يريدها من البلاد الإسلامية وذلك بسبب تعصبه الديني الأعمى، وقد أدى هذا إلى تصديقه هذه الوشاية، التي ادعت أن البطريرك ليس إلا جاسوسا أرسله سعيد باشا وليس مبعوثه وأنه مسلم في قلبه ،وجاء إليه ليخدعه حتى لا يستعد لمقابلة والي مصر الذي زحف على السودان لهذا الغرض، وبذلك يتمكن من الاستيلاء على بلاده

وذكروا له أيضا أن البطريرك أحضر معه كساء مسمم النسيج يقضي في الحال على من يلبسه، وذلك كهدية له وبالفعل كان ضمن الهدايا التي أحضرها البطريرك برنس من الجوخ الأحمر المزركش بطراز الذهب والفضة والحرير الملون فانزعج الإمبراطور، وارسل من يستكشف له خبر مجئ سعيد باشا إلى الخرطوم فجاءه الخبر بوصول

جيش عظيم من المصريين، وبذلك تأكدت هذه الوشاية، فأمر بسجن البطريرك في مقره، وأحاط به الحراس من الجند ، ومنع الدخول عنده. ووضعه تحت الرقابة الدقيقة ، بل كاد يقتله لولا تدخل الإمبراطورة والشيوخ وأقنعوا الإمبراطور أن يبقيه حيا حتى يتحقق من صدق الخبر أو كذبه، فإذا ما ثبت قتلوه، وإلا فيكون قد قتل ظلما وعدوانا .

ومن جهة أخرى تقدم القنصل الفرنسي إلى سعيد باشا، وأكد له أن كلا من البطريرك والإمبراطور تيودور اتفقا على غزو مصر وسوف يقدم لهما أقباط مصر كل مساعدة وكانت فرنسا لا تعترف بتيودور إمبراطورا، وتؤيد منافسه نيجوسي حاكم تيجري وتريد أن توليه عرش أثيوبيا بدلا منه، لذلك فقد اعتقدت أنها إذا نجحت في إثارة الحرب بين البلدين ، وإثارة الاضطراب الذي يحدث في أثيوبيا نتيجة للحرب، فإنها ربما تستطيع أن تحقق غرضها هذا بالإضافة إلى أنها كانت تنظر بعين الريبة والشك في البطريرك نتيجة محاولاته في تحقيق الوحدة بين الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الأسقفية الانجليزية مما قد يؤدي إلى تدهور نفوذها في مصر في عهد سعيد باشا وقد أدت هذه الظروف إلى تدهور الموقف تمامًا بالنسبة للبطريرك وللعلاقات بين البلدين، ولم ينقذ الموقف سوى الإمبراطورة والقنصل الانجليزي وتدخلهما في تهدئة ثورة الإمبراطور وفي نفس الوقت استطاع البطريرك أن يرسل من

سجنه من يبلغ سعيد باشا بأنه كان على وشك النجاح في مهمته السياسية لولا حضوره ومعه الجيش، وطلب منه إرجاعه وقد رد سعيد باشا على ذلك بأنه لا يفكر في محاربة أثيوبيا، وأن سبب رحلته هذه تمدين السودان وحل مشاكل أهله وطلب توجيه رسالته هذه إلى الإمبراطور ليعلم حقيقة زيارته للسودان وتوضيح نواياه الطيبة نحوه وبالفعل عاد سعيد باشا إلى القاهرة مباشرة وعندما علم الإمبراطور تيودور بعودة والي مصر إلى بلاده، ودحضت أكذوبة الكساء المسمم رد للبطريرك اعتباره واعتذر إليه ٠

وقد انتهت مهمة البطريرك في أثيوبيا وعاد إلى بلاده ويصحبه وفد أثيوبيا من قبل الإمبراطور حاملين هدايا ثمينة ورسالة لسعيد باشا مضمونها السلام والمحبة وقد رحب بهم سعيد باشا ترحيباً كبيرًا، وحملهم رسالة إلى إمبراطورهم يؤكد فيها ميله إلى السلام معه ورغبته في تدعيم التجارة بين البلدين، وقدم له هدايا عبارة عن مدافع وذخيرة وخيام ومستلزماتها، وأرسل مع الوفد الأثيوبي هذا مندوبًا من قبله لكي ينوب عنه في تبليغ الإمبراطور صدق مشاعره نحوه .

وكان مع رسالة المجاملة هذه رسالة أخرى يعرض له فيها الاضطرابات التي تحدث على الحدود السودانية ، وتتمثل في هروب

بعض المشايخ والعربان القاطنين على الحدود إلى أثيوبيا، من الضرائب المقررة وأيضا فرار المجرمين من القصاص، وساق سعيد باشا أمثلة على ذلك، فذكر ولد ميرية شيخ القلابات الذي عثر في أوراقه على ورقة كتب فيها أن تيودور أعطاه الدار لحد سنار وفازغلي، وأن هذه الدار من حق الإمبراطور الأثيوبي، كما أشار إلى خطورة ما يسببه أولاد الملك نمر من اضطرابات على الحدود، وقد دعى سعيد باشا الإمبراطور تيودور إلى وضع حد لهذه المشاكل، وأنه أمر حاكم السودان بعدم التعدي على أية منطقة أثيوبية، وحث تيودور على أن يعمل مثله مع رؤوسه التابعين له حتى تستقر البلاد وتأمين الحدود ويطمئن الأهالي ويتجهون إلى تنمية بلادهم وبالرغم من رغبة سعيد باشا الصادقة في السلام مع الإمبراطور الأثيوبي فإن الأخير أوضح مدى سوء نيته ، أنه كان يتبع سياسة مزدوجة مع مصر، فمع أن رسالته التي أرسلها مع الوفد الأثيوبي، توحي برغبته في السلام، فإن أعماله كلها تناقض ذلك وشعر سعيد باشا بفشل البطريرك ، أوكما حاول الملتفون حوله من المناوئين للبطريرك أن يصوروا له أن هذا الفشل يرجع إلى عدم لياقة هذا البطريرك لهذه المهمة والواقع أن فشل مهمة البطريرك إنما يعود إلى شخصية تيودور الصليبية نفسها، وهو ما لم يدركه سعيد باشا أو ربما أدركه وتجاهل رغبة منه في السلام معه ولذلك أرسل له عبد

الرحمن بك التركي يحمل هدايا ثمينة، لكي يستعيض بها عن الأخطاء التي نتجت بسبب عدم فطنة رجل الدين السابق وقد وصل هذا المبعوث المصري إلى دمبيه في سنة ١٨٥٩، حيث أكرمت وفادته وقبلت الهدايا واحتفي به أولا ثم ما لبث أن انقلب تيودور عليه واحتجزه سنتين في مجدلا وأخيرا وبعد ورود جملة رسائل شديدة اللهجة وتهديدية من الحكومة المصرية، سمح له بالسفر، بعد أن أمر تيودوير بنهب ما معه وفي طريق عودته وقبل أن يتجاوز حدود أثيوبيا وبعد قيام عبد الرحمن بك عائدًا إلى مصر، كتب تيودور للحكومة المصرية يتهم الرسول باقترافه عدة جرائم، ولما علم عبد الرحمن بها خشى ألا يستطيع الاتيان بالأدلة التي تؤكد ما فعله به هذا الإمبراطور من جرائم فظيعة، ففضل أن ينتحر بالسم حتى لا يواجه النتائج والتهم التي قد تنسب إليه في مصر من سعيد باشا، وما قد ينتج عنها من إذلال وتعذيب له وهكذا اتضحت نوايا الإمبراطور تيودور تجاه مصر، وأنه كان يفعل ذلك حتى يستعد لمحاربتها وأن احتجازه للبطريرك وللمبعوث المصري، يعطيه الوقت لكي يدعم جيشه ويقويه ليعتدي به على السودان ومصر وكان تيودور يتوقع خطأ أن يهاجمه المصريون، سواء كان يهدف الحصول على أراضي جديدة، أو لتدمير العناصر الإسلامية في أثيوبيا وكان الأوروبيون يتوقعون الحرب بين تيودور والمصريين أو الأتراك سواء

نتيجة لمشاكل الحدود أو للحصول على مصوع أو بسبب العنصر الصليبي الكامن في شخصية تيودور ذاتها وبالرغم من صدق مصر في السلام فإنه كان متخوفا من هجوم مصري مفاجئ في مرحلة لم يكن فيها مستعدا للحرب، لذلك أرسل مبعوثيه إلى مصر مع البطريرك بخطاب ودي، وكان هذا مجرد تغطية لما كان ينويه وذرًا للرماد في أعين المصريين عن هذه النوايا الخفية.

وباختفاء نيجوسي المناوئ لتيودور، والذي كانت تؤيده فرنسا، بدأ تيودور يتجه إلى صراعه المقبل مع المصريين فبعث في أكتوبر سنة ١٨٦٢ – مبتدئا خطته الهجومية التي طال انتظارها – برسائل إلى كل من انجلترا وفرنسا والقوى الأوروبية الأخرى يطلب فيها إقامة علاقات وثيقة معها هدفها تدعيم أثيوبيا ضد – ما اعتقده وتصوره – أنه التهديد المتزايد من الاعتداءات المصرية على أراضيه وأيضًا مده بالخبرة الصناعية المتقدمة وقد أصرت فرنسا في ردها على الإمبراطور على أن يعيد للمبشرين الكاثوليك ومعتنقي المذهب الكاثوليكي حقوقهم أولا ولما كان هذا ضد معتقدات تيودور الدينية ، فقد صرف النظر عن مساعدة فرنسا له وسمح للقنصل الفرنسي بمغادرة أثيوبية أما بريطانيا فلم تهتم بخطابه كثيرا ، وذلك لرفضها من قبل الموافقة على أي من خططه السياسية ، أي أنها ترفض تأييد مشروعاته العدائية ضد مصر ومصوع

وتؤكد رسالته إلى انجلترا وفرنسا نظرته التعصبية وأطماعه التوسعية، فقد ذكر فيها أن آباءه الأباطرة نسوا الله، فمكن الجالا والأتراك من التسلط على بلادهم ولكنه خلقه وعهد إليه بهذه الإمبراطورية ليحكمها، وبقوة الله طرد الجالا، أما بخصوص الأتراك فقد طلب منهم أن يغادروا أرض أسلافه إلا أنهم رفضوا، ولذلك فإنه الآن على وشك الدخول في صراع معهم لقد منعه الأتراك المحتلون لساحل البحر الأحمر من أن يرسل سفارته إلى بريطانيا وفرنسا عندما كان في شدة وعبر تيودور عن خوفه من سقوط سفرائه في أيدي الأتراك، عندما يرسلهم إلى هذه الدول، لذلك فهو يناشدهم أن يتكفلوا بسلامة مرور سفرائه في كل مكان، وأبدى الإمبراطور رغبته في أن يتلقى ردًا عن خطاباته هذه ، واختتم رسائله قائلا انظروا كيف يضطهد المسلمون المسيحيين وذلك لإثارة حميتهم الدينية فيساعدوه على اشعال حرب صليبية، في زمن انتهت فيه هذه الحروب منذ أمد بعيد وفي نفس هذا العام عقد تيودور تحالفا مع أولاد الملك نمر، أيد فيه غاراتهم على الحدود السودانية التي تصاعدت وازدادت حدتها وخطورتها بسبب تدعيم وتأييد الإمبراطور لهم، مما دفع مصر إلى أن ترسل إمدادات قوية يرأسها موسى حمدي لتعزيز القوات المصرية في السودان ولم يكتف تيودور بذلك بل أرسل رسالة إلى حكمدار السودان موسى حمدي ذكر فيها أنه ليس من حق

المصريين البقاء في الخرطوم، ورسم له حدود أثيوبيا الطبيعية التي هي منطقة التقاء النيل الأزرق بالنيل الأبيض حتى شندي شمالا، وهي بلاد الملك نمر وأولاده الأصلية – ومن تلك البلدة وفي خط مستقيم إلى عطبره وأوضح له ، أنه لما كانت هذه المنطقة صحراوية ولا توجد بها أية علامات محددة فانه سوف يرسل شعبه ليحفر أخدودا من النيل إلى العطبره، وأشار إلى أن حدود مصر يجب أن تكون شمال هذا الأخدود

وإزاء هذه التهديدات قام موسى حمدي بعدة حملات تأديبية استطاع أن يستعيد القلابات من الأثيوبيين الذين كانوا قد استعدوا للزحف على الخرطوم ولكن عندما علموا بقدوم القوات المصرية ارتدوا بسرعة ولم يتبعهم موسى حمدي خوفا من تدخل الدول الأوروبية، ولأن سعيد باشا كان قد سمح له بالتفتيش على هذه المناطق وعمل بعض الإجراءات التنظيمية لاستعادة الهاربين من المشايخ والأهالي وتأديبهم، ثم العودة إلى مقر حكمه وألا يتعرض للقوات الأثيوبية ما دامت لم تعتد هي عليه، بل حذره من أن يكون سببا في وقوع تصادم من جانبه قد يؤدي إلى الحرب مع أثيوبيا ونفذ موسى حمدي هذه التعليمات، فبعد أن طرد الأثيوبيين من القلابات وطاردهم بعض الشئ، عاد إلى الخرطوم ومعه العربان وشرع في تحصين القلابات بالمدافع والجنود، وعين آدم بك قائدًا عليهم، ثم أرسل جيشًا إلى أولاد الملك نمر فأكتسح بلادهم، وذهب

إلى اقليم التاكه ليؤمنه فمكث مدة ثم رجع إلى مقر حكمه ولقد استطاع موسى حمدي بنشاطه الحربي على الحدود مع أثيوبيا، أن يعيد الهدوء إليها ويلقي الرعب في قلب تيودور، ويقضي على فكرة غزو السودان وعاد الإمبراطور مرة أخرى إلى تدعيم قوته في بلاده وتقوية جيشه

ومما ساعد على تخلي تيودور عن غزو السودان، خيبة أمله في الحصول على تأييد فرنسا وبريطانيا، وبالذات من الأخيرة، وانشغاله لما نتج عنها ذلك أن القنصل الانجليزي كاميرون الذي خلف بلودن، قد اقترح على تيودور أن يبعث إلى بريطانيا يطلب عقد اتفاقية صداقة جديدة مع الملكة، ولعل ما كان يقصده كاميرون لم يكن يعدو التبادل الرسمي للمجاملات، ولكن تيودور انتهز الفرصة وأرسل رسالته يطلب فيها التحاف ضد مصر والمسلمين، وكلف كاميرون بحملها إلى ملكة بريطانيا وبينما كان كاميرون في طريقه إلى مصوع، تلقى رسالة من الخارجية البريطانية بأن يقوم بزيارة الحدود السودانية الأثيوبية، ويكتب لها عن مدى امكان زراعة القطن فيها وكانت انجلترا في ذلك الوقت تبحث عن منطقة جديدة لزراعة القطن، بسبب الحرب الأهلية في أمريكا وطلب كاميرون من نائبه في مصوع أن يحذر كل زعماء الحدود من عمل غارات على القرى الأثيوبية الواقعة على هذه الحدود ، وبعد أن أتم كاميرون رحلته هذه عاد إلى أثيوبيا ويلاحظ أن رحلة كاميرون

هذه كانت أيضا تخدم مصالح تيودور وأثيوبيا ومع ذلك فقد كان الإمبراطور الأثيوبي يسم بالحيانة كل أثيوبي أو أي حليف يتصل بحاكم السودان الاسلامي أو يقوم بزيارته ومع أن كاميرون كان يعلم ذلك، وأنه لم يأبه به وانطلق في مهتمه السابقة ومضت بضعة شهور قبل أن يعلم تيودور بذلك وكان يخيل له أن كاميرون قد غادر أثيوبيا إلى ساحل البحر الأحمر في طريقه إلى انجرتا بينما كان هو في كسلا والقلابات، أي في السودان، مما أدى إلى غضبه وهياجه وشكه في هذا القنصل بل وفي بريطانيا، وتصور أنها تدبر حملة على أثيوبيا تنطلق من السودان.

ومما زاد من غضبه، أن القنصل لم يأته برد خطابه من ملكة بريطانيا، بل أن الخطاب الذي وصل كاميرون بعد ذلك لم يشر مطلقا إلى خطاب تيودور الأخير واعتبر الإمبراطور هذا الصمت الطويل اهانة له، فوضع القنصل الانجليزي والمبشرين البروتستانت التابعين له في السجن واعتقد الإمبراطور أن انجلترا تؤيد مخططات المصريين ضده وتباركها، وأيد ذلك سحب الحماية البريطانية عن الأثيوبيين في القدس والواقع أن بريطانيا في ذلك الوقت قد أرادت أن تحد بل وتنسحب من تحالفها مع أثيوبيا وطلب لورد راسيل وزير خارجيتها من كاميرون الكف عن التدخل في شئون أثيوبيا الداخلية والعودة إلى مقره في مصوع وبذلك نجد أن انجلترا لم توافق على تحركات قنصلها كاميرون،

كما أن مصر شكت في تحركاته هذه واتهمته بأنه يدبر غزو الاراضي المصرية، وأصر إسماعيل والي مصر الجديد على سحب هذا القنصل من أثيوبيا وكانت نتيجة تطور هذه الحوادث، أن تحول انتباه تيودور عن غزو السودان ومصر حتى بيت المقدس – امنيته القديمة – واشنغل بصراعه مع مناوئيه في أثيوبيا والأسرى الانجليز.

العلاقات في عهد إسماعيل باشا

بالرغم من تخلي تيودور عن فكرة غزو السودان ومصر، إلا أن ذلك لم ينتج عنه هدوء الحال في الحدود السودانية الأثيوبية، فقد ظلت مضطربة بسبب تهرب القبائل النازلة في هذه المنطقة من دفع الضرائب مما نتج عنه استمرار وقوع الاشتباكات بين مصر وأثيوبيا على طول الحدود الممتدة من المتاكة حتى القلابات وفازوغلي .

ولقد حافظ إسماعيل في بداية عهده على السلام مع أثيوبيا، فطلب من حكمداره في السودان تجنب الاحتكاك والعمل على توطيد الأمن والسلام على طول الحدود بين البلدين وتوطين الفارين الأثيوبيين على الحدود،ومعاملتهم معاملة حسنة فلا يطردهم أو يعيدهم إلى بلادهم، وهو بذلك لا يحاول أن يزيد من مشاكل تيودور الداخلية، بل يوطد حكمه بطريقة غير مباشرة، كما أنه عدل نهائيا في هذه الفترة من حكمه عن

ارسالة أية قوات عسكرية إلى أثيوبيا لقتال شعبها ومع ذلك استمرت الاضطرابات على الحدود يدعمها ويزيدها حكام الحدود الأثيوبية وقد شهد اقليم التكاة العديد من غارات دجاج هايلو حاكم اقليم هماسين وولدمراج حاكم عدى – أبو Adi – Abu لدرجة أن إسماعيل أصدر أوامره إلى وكيل حكمدار السودان جعفر مظهر أن يهتم بنقطة كوفين الواقعة شرقي كسلا، ويقيم بها حامية حربية قوية تحت رياسة أحد كبار الموظفين ممن لهم خبرة بالإدارة لتكون بمثابة درع يقي الأهالي من هذه الغارت كما نجح الحكمدار فى أن يقيم اتحادا بين قبائل الحدود في اقليم التاكة ضد غارات الأثيوبيين وبالفعل فعن طريق تدعيم كوفييت حربيا وتكوين هذا الحلف، توقفت غارات الأثيوبيين ولم تتكررد إلا في عهد يوحنا الرابع وبذلك هدأت المنطقة إلى حين.

كذلك استطاع موسى حمدي هزيمة أولاد الملك نمر ، وأسر أعداد كبيرة منهم ، ومن تبقى منهم قضى عليهم جوباز المناوئ لحكم الامبراطور تيودور، بسبب حنقه عليهم، لعدم مساعدتهم له ضد تيودور، وهكذا انتهت مشكلة الملك نمر وأولاده .

<u>حملة بيسون:</u> كانت نتيجة الاضطرابات في الحدود في منطقة اقليم التاكة وبوجوس، أن رحبت مصر باقتراح بيسون Count Bisson

ربما بقصد إنشاء دولة حاجزة في هذه المنطقة مثلما فعلت أثيوبيا عندما تبنت الملك نمر وأولاده، حتى يحين الظرف المناسب ليغزو إسماعيل أثيوبيا واذا لم يكن هذا مبررا لحملة بيسون هذه فما هو الواقع وراء قبول إسماعيل لها، وهو لا يعلم شيئا عنه سوى ما عرضه بيسون نفسه من اقامة مزرعة كبيرة لزراعة القطن تحميها مصر؟ ووصل بيسون إلى مصر في سبتمبر سنة ١٨٦٣ ، وأخبر إسماعيل بأنه ينوي القيام بمشروع زراعي صناعي في السودان الشرقي بالقرب من حدود أثيوبيا، وكان هناك اعتقاد بأن بيسون يقوم ايضا بمهمة سياسية. وهي الافراج عن القنصل الفرنسي ليجيان الذي قيل أن تيودور قبض عليه، وقد وافق إسماعيل على سفر بيسون وأتباعه إلى حدود أثيوبيا عن طريق مصر والسودان .

والواقع أن إسماعيل لم يوافق على مشروع بيسون الا بعد أن أعلن في مصر هدفه الحربي، وهو إقامة مركز حربي على حدود السودان مع أثيوبيا، وقدمت مصر له المساعدات الفعالة وأمر إسماعيل حكمداره في السودان بضرورة تقديم العون الكامل لبيسون وتأييده في حالة حربه مع أثيوبيا وكان إسماعيل يعتقد أن تأييده لبيسون خدمة تنتقم بها فرنسا من تيودور الذي قبض على قنصلها وأهانه ومما يؤكد ذلك أنه عدل عن أوامره، عندما أنكرت فرنسا صلتها به، فأمر حكمداره بأن لا يصحبه

إلى الحدود الأثيوبية ولا يسمح له باقامة تحصينات قريبة من الحدود، وفي حالة إغارته على أثيوبيا يقدم له الذخيرة فقط دون الجنود، أو بعبارة أخرى تتحول هذه المنطقة – منطقة بيسون – إلى منطقة حاجزة تخفف من إعتداءات الأثيوبيين على حدود السودان وكان السبب في تحول إسماعيل هذا هو خوفه من أن تتهمه الدول الاوربية بأنه يعمل على التحرش بأثيوبيا ومحاربتها بعد إعلان فرنسا تخليها عن بيسون، وعليه فقد أمر حكمداره في السودان باحتجازه في الخرطوم أطول فترة ممكنة إلى حين صدور تعليمات أخرى.

وبوصول بيسون وجماعته إلى السودان – بدأت تنكشف حقيقته، فادعى أن الحكومة المصرية وعدته بالقيام على رأس حملة ضد أثيوبيا يتولى قيادتها وأنها أسندت إليه الاشراف على الأعمال الحربية في جميع أنحاء السودان وأشار على موسى حمدي أن يبعث إلى مصر باقتراح فتح أثيوبيا في العام التالي سنة ١٨٦٤، على أن يبدأ هو بتدريب القوات المصرية طبقا للأسلوب الفرنسي، وأوضح له أن ظروف غزو أثيوبيا قد أصبحت مهيئة بفضل البعثة التبشيرية الكاثوليكية، التي أرسل رئيسها إلى الأب ستيللا في بوجوس برسالة ذكر فيها أنه اتفق مع سكان تيجري على القيام بثورة ضد تيودور ، وذكر بيسون أنه يعلق الآمال على الجيش الفرنسي فيما اذا أحجمت

مصر عن غزو أثيوبيا فان فرنسا سوف تقوم به وأضاف أن انجلترا تعارض غزو مصر لأثيوبيا وقد سببت تصريحات بيسون هذه ارتباكات شديدة للحكمدار، الذي لم يكن يعرف شيئا مؤكداً عن حقيقة أمرها فارسل إلى القاهرة يستوضح كنه هذه الحملة والغرض منها وأهدافها ويتضح مما سبق مدى تورط الارسالية الكاثوليكية في بوجوس في هذا الموضوع وكان سبب وجود الارسالية التبشيرية الكاثوليكية في هذه المنطقة، هو افتقادها الأمان الديني والسياسية في تيجري مما دفعها إلى الاتجاه شمالا والاستقرار في بوجوس وقاد الارسالية إلى منطقتها الجديدة هذه كل من سابيتو وستيلا وذلك في سنة ١٨٥٢ ، حيث نقلوا مركز الارسالية من عدوة إلى أكلاجوزيه Akakal Gusay.

وبدأت الإرسالية تمارس نشاطها التبشيري وتدعم وجودها بانشاء كنيسة أثيوبية كاثوليكية بعيدة عن التيارات السياسية التي كانت موجودة في أثيوبيا في ذلك الوقت وظلت هذه الارسالية في حمى أوبي ونيجوسي من بعده وكانت فرنسا تؤيد الأخير وتعترف به امبراطورا على أثيوبيا بدلا من تيودور غير أن الأخير استطاع أن يقضي عليه ويقتله، وبذلك فقدت الارسالية الكاثوليكية حاميها وقضي على أحلامها بالعودة إلى أثيوبيا لأن تيودور كان لا يسمح بممارسة نشاطها التبشيري في بلاده وإزاء ذلك كان لابد للارسالية أن تبحث عن قوة

تساندها في التخلص من تيودور ويساعدها في العودة إلى أثيوبيا ولهذا فليس من المستبعد أن تقف وراء بيسون الفرنسي الكاثوليكي وأن تستغل رغبة مصر القديمة، وتحثها من جديد على غزو أثيوبيا فتنشب الحرب بين البلدين، وقد ينتج عنها التخلص من تيودور أو اضعافه، وبالتالي يسهل عليها العودة إلى أثيوبيا والمعروف أن النفوذ الفرنسي كان سائدا في مصر في عهدي سعيد وإسماعيل من بعده وبالتالي فان نسبة نجاح هذه الخطة كانت كبيرة.

وقد اهتمت بريطانيا بأنباء هذه الحملة عندما علمت بها وأمرت قنصلها العام في مصر بالتحري عنها عندما طلبت من سفيرها في فرنسا الاتصال بالخارجية الفرنسية بهذا الخصوص وقد أنكرت الخارجية الفرنسية معرفتها ببيسون، بل قالت أن الإمبراطور الفرنسي لا يعلم عنه شيئا، أما القنصل الانجليزي في مصر، فقد قابل الخديو وأخبره بأن حكومة بريطانيا لا تسمح بأي اعتداء على أثيوبيا أو تأييد بيسون لنفس الغرض وبالفعل أرسلت الحكومة المصرية تعليماتها إلى حكمدارها في السودان بألا يقدم له أي مساعدات ويعامله كأي سائح عادي ولا يقيم وزنا لما يدعيه لنفسه، وفي حالة مطاردة الأثيوبيين له في داخل الحدود المصرية عليه أن يطردهم بالقوة، ويعمل على إضعاف قوة الأب ستيلا بفض أنصاره من حوله، وأكدت له حكومة مصر عدم

النية في غزو أثيوبيا، ولكنها ستوالي ارسال الأسلحة والجنود إليه للمحافظة على الحدود وتوطين الأمن أما بيسون فقد وصل إلى كسلا، والتقي بالأب ستيلا الذي عرض عليه محاربة أثيوبيا والقضاء على حكم تيودور بواسطة القوات المصرية، وعليه فقد حصل بيسون على سهل ستث، وهو جزء من بوجوس على الحدود مع تيجري عن طريق الحصول على تنازلات من الأهالي، ثم استمر بعد ذلك في الحاق باقي اقليم بوجوس والاستعداد، لارسال حملات إلى داخل المناطق المجاورة له لكي يستولي على الماشية والعمال وأراد أن يورط السلطات المصرية مع أثيوبيا بأن أرسل إلى حكمدار السودان مهولا له من شأن الخطر على السودان من جيش أثيوبيا وأن الإمبراطور يحشده ليخترق الحدود السودانية ولذلك يجب عليه أن يستعد لما سيترتب على ذلك من نتائج وقد أثارت أعمال بيسون هذه الإدارة المصرية في السودان التي توقعت أن استمرار وجوده على الحدود سوف يعجل بالحرب بين مصر وأثيوبيا ومما أيد ذلك أن بيسون عدل عن الذهاب إلى مستعمرته المقترحة بناء على نصيحة الأب ستيلا بالبقاء في نقطة كوفيت شرقي كسلا لقربها من الحدود الأثيوبية ولأنها من الأملاك المصرية مما يضمن استمرار ضيافة مصر له كما أنه يستطيع القيام بحملاته الحربية على أثيوبيا، وبالتالي يورط موسى حمدي فيضطر إلى التدخل وبذلك يحقق الأب

ستيلا هدفين أولهما الحرب بين مصر وأثيوبيا وزعزعة حكم تيودور ثم ابعاد بيسون عن بوجوس مقر الارسالية الكاثوليكية حتى لا تجلب المشاكل ويعرضها للخطر إذا قام تيودور بصد بيسون، وبالتالي يعرف دورها فيطردها ويعرف الأهالي حقيقة دور الارسالية في هذا الموضوع فينصرفون عنها غير أن حملة بيسون هذه لم تنجح، وذلك لعدم تعاون الإدارة المصرية في السودان معه تنفيذا لأوامر إسماعيل باشا التي أرسلها الى حكمداره موسى حمدي كما رفض الجنود الذين أرسلوا من قبل الحراسة القيام ببناء الاستحكامات بعد أن هجره العمال بسبب عدم دفعه لأجورهم، بل انه سحب هؤلاء الجنود وترك بيسون دون حراسة، ولم يأبه مدير التاكة لشكواه، ووضعه تحت المراقبة الدقيقة وأخذ يضيق عليه الخناق حتى تخلى عنه بعض المتعاقدين معه، كما أن قبائل المنطقة أعلنت معارضتها له حينما وجدت السلطات المصرية لا تؤيده كل هذه العوامل دفعت بيسون إلى التخلي عن مشروعه والعودة في صيف سنة ١٨٦٤ إلى مصر ثم الرحيل بعد ذلك إلى فرنسا ولم يكن لهذه الحملة من نتائج سوى أنها زادت من تدهور العلاقات بين مصر وأثيوبيا، وأثر هذا التدهور على العلاقات بين أثيوبيا وانجلترا، فقد اعتقد الإمبراطور خطأ أن رحلة كاميرون إلى كسلا إنما هي للاتصال بأعدائه ومناوئيه ولمعاونتهم في غزو أثيوبيا والقضاء على حكمه مما

دفعه إلى القبض على كاميرون في ٣ يناير سنة ١٨٦٤، مع أن وصول بيسون إلى هذه المنطقة كان بعد هذا التاريخ ورفضت مصر طلب مغامر آخر فرنسي كاثوليكي كان هدفه غزو أثيوبيا، وذلك حتى لا يؤول على أنه عمل عدائي استفزازي ضد تيودور، وهذا ما كانت تتجنبه مصر وهكذا استفادت مصر من ذلك بأن أوضحت للعالم عامة وانجلترا خاصة أنها لا تفكر في غزو أثيوبيا وأنها رفضت مساعدة بيسون وأمثاله، وارضاء لانجلترا عندما طلب قنصلها من الحكومة المصرية ذلك.

اعتقد تيودور أن بريطانيا تتواطأ مع مصر على غزو بلاده لذلك قبض على قنصلها وعلى المبشرين البروتوستانت ، مما أثار قلق الحكومة البريطانية على رعاياها حتى أنها خافت عليهم من الحشود المصرية على الحدود الأثيوبية السودانية والتي كانت مصر قد أرسلتها عن طريق ميناء سواكن، بعد ضمه إليها – للحفاظ على الأمن والسلام داخل مقاطعات الحدود الخاضعة للادارة المصرية في السودان وكانت هناك شائعات تقول أن هذه القوات أرسلت لتضيف مناطق أخرى في هذه الجهات لمصر .

خافت بريطانيا من هذه الحشود على قنصلها ورعاياها أسرى تيودور من أن يؤكد ذلك اعتقاده بأن بريطانيا ومصر تعتزمان معا غزو البلاد

وكانت هناك شائعة تقول أن شركة انجليزية ستنفذ مشروع مد خط حديدي من سواكن إلى كسلا لنقل هذه القوات المشتركة التي ستغزو أثيوبيا وقد أدت هذه الشائعات إلى اعادة القيود على القنصل البريطاني والأسرى الآخرين لذلك كانت بريطانيا تخشى من أية حركة معادية من جانب مصر تجاه أثيوبيا مما قد يهدد رعاياها بالخطر وقد استجابت مصر لبريطانيا بل وتعاونت معها في تهدئة الأحوال على الحدود مع أثيوبيا فلم تنتهز فرصة أتيحت لها لضم تيجري إليها، فقد عرض جوباز حاكم لاستا المناوئ للامبراطور تيودور وشعب تيجري ضمها لمصر إلا أنها رفضت لسببين أولهما أنها كانت مشغولة بحرب كريت ولم يكن لديها الامكانيات الحربية لكي تناصر أحد المناوئين ضد الإمبراطور وتتحمل ما قد ينتج من ذلك من نتائج، وثانيهما أنها كانت تأخذ في الاعتبار خوف بريطانيا على حياة الرعايا وأن أية حركة معادية من جانب مصر قد ينتج عنها القضاء على هؤلاء الأسرى .

وبالرغم من حرص مصر هذا، فقد كان الإمبراطور تيودور يحاول التحرش بها فتحالف مع أحمد شنا أحد زعماء دارفور ، على أن يزحف على الخرطوم في الوقت الذي يزحف فيه أحمد شنا وحاكم جبل الداير على كردفان، ولكن هذه الخطة لم تنجح لأن تيودور انشغل بمقاومة الحملة الانجليزية التي قضت عليها وكان من حرص مصر على هدوء

الأوضاع بينها وبين أثيوبيا، أنها لم تتخذ أي اجراء حربي أو معادي لتيودور، بل كل ما فعلته أن كلفت حكمدار السودان بأن يتفحص أحوالهم ويقف على حقيقة أمرهم ويوافي الخديوي بتفاصيل هذا الموضوع .

كذلك قدمت مصر بقدر استطاعتها، تسهيلات لكل المحاولات السلمية التي قامت بها بريطانيا لانقاذ قنصلها والمبشرين البرتوستنات وكانت الحكومة البريطانية قد بدأت تدرس الوسائل الواجب اتخاذها لاطلاقهم وكان أمامها أحد طريقين، أما اللجوء إلى القوة أو اتباع الطرق الدبلوماسية، فآثرت أولا استخدام الوسائل الدبلوماسية فاختار ستانتون القنصل العام البريطاني في مصر مستر وليام جيفورد بلجراف مبعوثا إلى تيودور لكي يتفاوض معه بشأن اطلاق سراح الأسرى وذلك بعد أن طال انتظاره في مصوع واتصل بالحكومة المصرية التي اتخذت في الحال اجراءات هامة تتعلق برحلة بلجراف السريعة إلى أثيوبيا في النيل فوضعت باخرة تحت طلبه وصدرت الأوامر إلى السلطات في أعالي البلاد بتسهيل هذه الرحلة حتى حدود أثيوبيا غير أن ظهور هرمورد رسام في السويس وضع حدًا لرحلة بلجراف اذ كلف رسام مرة أخرى بالذهاب إلى مصوع وكانت الحكومة البريطانية قد كلفت رسام بالتفاوض مع تيودور بشأن اطلاق سلاح أسراها وعندما وصل رسام

إلى مصر مع زملائه، بعث بعدة رسائل إلى الإمبراطور يستأذنه في الدخول إلى بلاده ولكن تيودور تجاهل هذه الرسائل مدة عام يوليو ١٨٦٤- اغسطس ١٩٦٥ثم سمح أخيرًا له بالحضور إليه وحالت دون وصوله إلى الإمبراطور الثورة في تيجري وموسم الأمطار في طريق كسلا القلابات ولذلك كتب إلى تيودور يستأذنه في الانتظار حتى ينتهي موسم الأمطار وفي أثناء ذلك جاء رسام إلى مصر لاجراء الاتصالات التلغرافية مع لندن بشأن مهمته، ولشراء الهدايا النفيسة للامبراطور، ثم عاد إلى مصوع ليبدأ رحلته إلى مقر الإمبراطور تيودور غير أنه فشل في مفاوضاته مع الإمبراطور لاعتقاد الأخير أنه إذا أطلق سراحهم سيفقد الوسيلة التي يتصل عن طريقها مع الحكومة الانجليزية .

وعندما فشلت الوسائل الدبلوماسية في الافراج عن الأسرى، قررت بريطانيا استخدام القوة لتخليص رعاياها من أسر تيودور فأصدرت أوامرها إلى حاكم عدن الكولونيل ميروزير ليتقصى أحوال أثيوبيا الداخلية ولدراسة الطرق التي تربط ساحل البحر الأحمر الأفريقي بالهضبة الأثيوبية، وبالفعل قام في يناير سنة ١٨٦٧ بجولة في ساحل البحر الأحمر الأفريقي فمر بمصوع وطاف بساحل سمهر وخليج انسلي لتقصي أحوال أثيوبيا الداخلية ومعرفة الأماكن المناسبة لنزول قوات

الحملة البريطانية التي تقرر ارسالها إلى أثيوبيا ووقع اختيار ميروزير على طريق أمفيلا – عدوه .

ولقد أثار نشاط الانجليز هذا على ساحل البحر الأحمر الأفريقي، شكوك حاكم مصوع المصري، الذي أرسل إلى القاهرة يخبرها بهذا النشاط، فكلفت حكمدارها في السودان جعفر مظهر باشا بالقيام بجولة تفتشية على طول ساحل البحر الأحمر حتى باب المندب وبالفعل قام الحكمدار بهذه الجولة التفتيشية حيث وزع الهدايا والاعلام على شيوخ القبائل ودعاهم إلى الاعتراف بسيادة الحكومة المصرية وقد وجد ترحيباً كبيرًا منهم ودعا جعفر مظهر في تقريره حكومة مصر إلى ضم أثيوبيا إليها منتهزة فرصة الفوضى الناشبة في أنحائها، وعدم تضامن رؤسائها مع امبراطورهم، وأنهم لن يقاوموا أي تغيير في الحكم، كما أن السكان النازلين بالقرب من الحدود المصرية متضامنون مع مصر ولذلك فإن فرص نجاح مصر في ضم أثيوبيا كبيرة موفقة أي أن جعفر مظهر أراد أن تقوم مصر بالحرب بدلا من انجلترا وذلك خوفا على السيادة المصرية على هذه المناطق.

كذلك فقد أثار قرار اعلان انجلترا الحرب على أثيوبيا اعتقاد بأن بريطانيا لن ترضى بمجرد انزال العقاب بالإمبراطور تيودور ولكنها

ستحاول اقتطاع منطقة من أثيوبيا على الأقل واحتلالها بل اشيع أن انجلترا تطمع في الاستيلاء على جزيرة مصوع واحتلال مصر نفسها بعد هزيمة أثيوبيا.

ولقد أثارت هذه الشائعات مخاوف حكومة مصر التي لم تجهر بها وقد رأت الحكومة الانجليزية ضرورة تكذيب هذه الشائعات في تبديد مخاوف مصر ، فأمر قنصلها في القاهرة أن يؤكد للخديوي أن القوات الانجليزية سوف تغادر أثيوبيا بعد اطلاق سراح الأسرى وأنها لا تنوي غزو هذه المنطقة من البحر الأحمر ومع ذلك فقد أعرب الخديوي لحكومة لندن رغبته في التوسط بينها وبين تيودور فوافقت بريطانيا على اقتراحه، وبالفعل بعث الخديوي برسالة إلى تيودور ، حثه فيها على إطلاق سراح الأسرى حتى يتجنب الحرب مع بريطانيا ويجنب بلاده ويلاتها وعرض عليه في حالة موافقته على اطلاق سراح أسراه أن يرسلهم إلى مصوع وحذره من ان تمسكه باحتجاز الأسرى سوف يدفعه – أي الخديوي إسماعيل – إلى أن يسمح للقوات البريطانية بالمرور في أملاكه إليه وان كان هذا لا يبغيه ولكنه سيضطره إزاء تمسكه إلى أن يفعل هذا ودعاه ان يسمع صوت العقل ويعمل بنصيحته وقد حمل أحد رجال الدين الأقباط هذه الرسالة، ورسالتين أخريين من بطريرك الأقباط والأخرى من بطرك الأرمن الأرثوذكس وبالإضافة إلى هذه الرسائل

أرسلت رسالة إلى عبد القادر باشا الذي عين مندوبا فوق العادة في مصوع بسبب ظروف الحملة الانجليزية ، جاء فيها بأنه في حالة الإفراج عن الأسرى يرحب بهم ويسلمهم إلى القنصل الانجليزي، ويخبره في الحال، أما في حالة لم يفرج عنهم، فيعمل على توصيل القس القبطي حامل هذه الرسائل إلى الحدود ، على أن تيودور لم يهتم بهذه الرسائل واستمر في سجن الأسرى وبالرغم من تأكيدات الحكومة البريطانية بقصر هدف الحملة على إطلاق سراح الأسرى، فإن الخديوي احتاط لذلك، فسعى عند الباب العالي لإحضار قواته المشتركة لإخماد ثورة كريت، وأرسلها إلى الحدود الأثيوبية حتى تكون مستعدة لما قد تتطور إليه الأمور في هذه المنطقة وبعد ما فعل إسماعيل هذا لم يجد أمامه شيئا سوى أن يقدم معاونته للحملة البريطانية التي قررت انجلترا إرسالها وعينت سير روبرت نابيير قائدًا عليها وحصلت الحكومة البريطانية في أغسطس سنة ١٨٦٧ على موافقة الباب العالي بمرور القوات البريطانية بمصر والنزول في ميناء زولا بالقرب من مصوع على شاطئ البحر الأحمر الأفريقي كما وافق على منح كل مساعدة ممكنة للحملة الانجليزية كذلك حصلت بريطانيا على موافقة إسماعيل على مرور القوات الانجليزية بمصر، ورحب بتقديم كل مساعدة ممكنة لها كما صرح لها بأن تنشئ خط تلغرافيا بين مصوع وسواكن، وأمر

حكمدار السودان بتقديم كافة التسهيلات اللازمة لهم وعين حكمدار السودان مشرفا عاما على هذه المنطقة حتى يضمن سرعة حصول الحملة الانجليزية على ما تحتاجه لنجاح مهمتها ولم يكتف إسماعيل بذلك بل عين عبد القادر باشا مندوبا فوق العادة وحدد مقر إقامته في مصوع واخضع له كل السلطان العسكرية في هذه المنطقة وذلك لتسهيل مهمة الحملة الانجليزية في إطلاق سراح الأسرى وبالرغم من هذه المساعدات التي قدمتها مصر للحملة الانجليزية، فإن إسماعيل باشا لم يستفد منها شيئا، كما أن انتحار تيودور لم يفد مصر أيضا إذ أن الحملة الانجليزية اختارت قبل رحيلها من أثيوبيا رجلا متعصبا آخر يتلاءم في الواقع مع السياسة الانجليزية في المنطقة ولا يقل تعصبا عن تيودور ، إذ كان هو الآخر يرغب في طرد المصريين من كل السودان ومن ساحل البحر الأحمر الأفريقي، فتركت له كمية ضخمة من السلاح والذخيرة. وأحد العسكريين الكبار في الحملة وهو الجنرال كيركهام في خدمته لتدريب جيشه، وكان الدافع إلى ذلك هو الخوف من التقدم المصري واحتمال الاعتداء على أثيوبيا اذ كانت في ذلك الوقت حملة صمويل بيكر إلى أعالي النيل وخوف الأثيوبيين منها وما قد تمثله من تهديد لبلادهم ومصر لم تستفد من منشآت الحملة ومهماتها وأدواتها التي تركتها ف يميناء زولا، لأنه ثبت عدم صلاحية المدينة كمركز لمحافظة مصوع

ومع ذلك فقد أوجدت هذه الحملة لمصر ظروفا استطاعت أن تؤكد أمام بريطانيا حقوق سيادتها على ساحل البحر الأحمر الأفريقي حتى باب المندب بالإضافة إلى إتباع سياسة أكثر تحديداً وإحكامًا من السياسة التي كانت تتبعها من قبل في ساحل البحر الأحمر الغربي وفي السودان الشرقي ، فقد اتجهت مصر إلى التوسع بضم أقاليم أخرى إلى سيادتها – وساعد على ذلك أن بريطانيا لم تعد تهتم كثيرا بأثيوبيا بعد أن أصيبت بخيبة أمل كبيرة في صنيعتها تيودور، كما أنها أرادت أن تحد من تدخلها في الشئون الأثيوبية واكتفت بتدعيم كاسا الذي أختير كخليفة لتيودور وتركت له خبيرا عسكريا مما جعله من أقوى الزعماء في البلاد والدليل على ذلك أنها لم تحاول أن تمنع إسماعيل من شن الحرب على أثيوبيا كما كانت تفعل من قبل ولم يفهم إسماعيل هذه السياسة الجديدة وسرعان ما تورط في حروب مع أثيوبيا. انتهت بهزيمته وقضت على عهده في مصر واستقلالها بعد ذلك.

علاقة مصر برؤوس أثيوبيا المتنافسين على عرش تيودور

نتج عن انتحار الامبراطور تيودور، أن حلت بأثيوبيا الفوضى وصراع الرؤوس للوصول إلى العرش وكان المتنافسين ثلاثة هم كاسا في تيجري، وواجشوم في جوباز في أمهرا، ومنليك في شوا وكان

إسماعيل يتابع هذا الصراع ولكنه لم يتدخل فيه والدليل على ذلك أنه استقبل وزيرًا أرسله كاسا يصحبة القساوسة والرهبان، وتقبل هداياهم ووافق على ارسال مطران إلى كاسا ليقوم بتتويجه كما أرسل حكمدار السودان بطلب آخر أنباء الصراع مع أنه لم يكن يعرف أحدا منهم فكان يميز كاسا الذي أرسل إليه مطرانا من مصر كما أنه لم يعلم بما قام به نابيير قائد الحملة الانجليزية من ترك أسلحة كثيرة وخبير حرب فلو كان يعلم لما سأل هل هو غالب أم مغلوب والواقع أن إسماعيل لم يكن له سياسة معينة ازاء رؤوس أثيوبيا المتنافسين فهو يستقبل مبعوثي كاسا، ومبعوثي منافسه جوباز ويرفض مساعدة كاسا عندما طلب منه ذلك عن طريق النائب محمد عبد الرحيم أمير مصوع وناظر سمهرويكتفي بتهنئة تكلا جورجيس عندما أرسل إليه يخبره بأنه أصبح ملكا على أثيوبيا ، ويوافق في نفس الوقت تقريبا على سفر وفد مرسل قبل كاسا إلى ملكة انجلترا ويكرمهم عند نزولهم في مصر ويقبل هداياهم المقدمة من كاسا إليه .

ولماذا لم يفعل اسماعيل كما فعلت بريطانيا مع كاسا؟ والسبب في ذلك أنه لم يكن يعلم شيئا عن أثيوبيا سوى أن هناك رأسين من رؤوسها يتنازعان على العرش بعد موت تيودور، لأنه لو كان يعلم لأيد تكلا جورجيس ضد كاسا الذي دعمه نابيير بالأسلحة والعتاد الحربي ولكانت

النتيجة المنتظرة لذلك على أسوأ الفروض هي ازدياد الاضطرابات والصراع بينهما مما يضعهما معا، ولازداد بالتالي فترة الصراع بينهما مما يسهل لإسماعيل باشا الاستيلاء على البلاد أو على الأقل الأجزاء الشمالية من أثيوبيا المتاخمة لأملاكه في شرق السودان أما إذا أراد أن يتخلى عن سياسة التوسع، ويحافظ على العلاقات الطيبة مع أثيوبيا فعليه أن يؤيد كاسا، وبذلك يكسبه إلى جانبه ويحافظ على سلامة وأمن حدوده. ولما حدث بعد ذلك حروب بينهما، على أن إسماعيل لم يكن لديه هذه الخلفية عن أثيوبيا في ذلك الوقت أو عن هذه السياسة، واختار ان يبقى على الحياد بينهما على أمل أن يزيد من ضعف أثيوبيا مما يساعد على تحقيق توسعاته وأطماعه وفي هذا أثبت إسماعيل قصر نظره إذ سرعان ما استطاع كاسا أن يهزم تكلا جورجيس بفضل الدعم العسكري الانجليزي وينتبه إلى الخطر المصري الجاثم على حدوده، بل استغله كما سنرى في تدعيم حكمه وسيادته على كل أثيوبيا .

وعلى أية حال لم تدم طويلا هذه العلاقات الطيبة الظاهرة بين مصر وأثيوبيا لأن إسماعيل كان يرغب في تدعيم سيادته على السودان الشرقي ويتطلب ذلك ضم منطقة بوجوس الواقعة بين اقليم التاكة ومصوع إلى مصر وقد تصادفت هذه الرغبة مع تطور الأحوال في المنطقة، ذلك أن بوجوس هذه أصبحت موطن الارسالية الكاثوليكية

وكان كاسا قد اتبع اسلوباً عدائياً تجاههـا، بسبب مساعدتها لجوباز منافسه، وحاول منزنجر قنصل فرنسا في مصوع أن يثني كاسا عن ذلك إلا أنه فشل ومن ثم فقد شجع الزعماء المناوئين لكاسا في طلب الحماية الفرنسية وذلك لخلق توزان مع موقف كاسا وكان من بين هؤلاء ولد ميكا بيل حاكم هماسين الذي اتصل بنابليون الثالث امبراطور فرنسا وعين هنزنجر حاكما على كيرين وذلك لحماية المبشرين الكاثوليك ولما علم كاسا باتصالات ولدميكا بيل السرية وتصرفاته هذه عزله وسجنه في عدوة بضع سنوات وتصاعدت الأزمة بين الكاثوليك وكاسا عندما ثبت تواطؤهم في اثارة الثورة بين الزعماء الأثيوبيين واكتشاف رسالة من الأسقف توفيير في ممتلكات جوباز بعد هزيمته تذكر أنه اذا وافق على اعطاء المبشرين حرية العمل في أثيوبيا فانهم سيمدونه بالمدافع والبنادق وكل ما يحتاجه من السلاح والذخيرة وقد أدى ذلك إلى أن يرسل كاسا قواته إلى قرى بوجوس حيث حرقوا الكنائس والمنازل وبيوت المبشرين ونهبت القرى، فهرب المبشرين الكاثوليك وكان لتصاعد هذا العداء بين كاسا والمبشرين ، أن تقابل قنصل فرنسا في مصر مع الخديوي إسماعيل وطلب منه الوساطة في هذا الموضوع وقد وعده الخديوي بذلك، وبأنه سوف يقنع البطريرك بأن يرسل تعليماته إلى مطرانه في أثيوبيا فيما يتعلق بهذه المسألة وارسال قس مصري

إلى كاسا لاقناعه بالكشف عن كل أعمال الاضطهاد وترك المبشرين الفرنسيين يواصلون أعمالهم وقد وجد القنصل الفرنسي أن إسماعيل كان ميالا بشدة نحو البعثة الفرنسية وكتب منزنجر إلى مصر بأن الكاثوليك يتطلعون إلى أن يصبحوا رعايا مصريين ويريدون الحماية والمساعدة المصرية .

ولقد أرسل الخديوي إلى كاسا برسالة مع أحد رجال الدين الأقباط، حثه فيها على التسامح الديني المذهبي ويتضح من هذه الرسالة أن إسماعيل لم يعرف الدور العدائي الذي قام به هؤلاء المبشرون ضد كاسا، انما انساق وراء ميوله الفرنسية وأطماعه وربما ارسال إسماعيل هذه الرسالة بهذه اللهجة ، بداية لتدخله في هذا الاقليم تمهيدا لضمه وهو ما حدث فعلا.

وقد تسلم كاسا هذه الرسالة بعد احتفالات تتويجه امبراطورا على أثيوبيا في يناير سنة ١٨٧٢ باسم يوحنا الرابع، واعتقد أنها مجرد أوامر صادرة من حاكم إلى أحد أتباعه، وأنها رسالة تهديد اذ كان يطلب فيها اعادة بناء الكنائس وعودة وجودة الكاثوليك ورد أملاكهم ومعاملة المبشرين معاملة حسنة، ولذلك رفض يوحنا الرابع رسالة الخديوي، وبالتالي تأزم الموقف بين البلدين .

بدأ ظهور بوجوس كعامل مؤثر في العلاقات بين البلدين، ومنذ أن تدخل إسماعيل إلى جانب الإرسالية الكاثوليكية ضد يوحنا الرابع، كما كانت لغارات ولد مراج الأثيوبي على بوجوس أثر كبير في تدهور العلاقات بين مصر وأثيوبيا، إذ طلب مشايخ هذه المنطقة الحماية المصرية ووافق إسماعيل على طبلهم هذا وأمر منزنجر بتنفيذه وكان الأخير قد استقال من وظيفته كقنصل لفرنسا في مصوع. والتحق بخدمة مصر في أبريل سنة ١٨٧١ وعينه الخديوي محافظا لمصوع وفي أواخر يونيو سنة ١٨٧٢ غادر منزنجر مصوع على رأس قوة مصرية متوجها إلى بلاد بوجوس وضمها إلى مصر كما ضم ايليت أيضا الواقعة بين هماسين ومصوع حدث هذا في الوقت الذي كان يوحنا مشغولا بالقضاء على ثورة الجالا في الجنوب غير أنه عاد بسرعة إلى عاصمته عدوة وأرسل قوة حربية أثيوبية إلى حدود أثيوبيا الشمالية لحمايتها والواقع أن يوحنا لم يكن في حالة تسمح باعلان الحرب وذلك بسبب ثورة الجالا وخروج بعض الرؤوس عن طاعته بل والتجائهم إلى مثل هايلو ولد جورجيس وولد ميكائيل لذلك لم يكن هناك من سبيل أمام يوحنا سوى أن يرسل مبعوثا من طرفه إلى الخديوي إسماعيل يدعي محمد ناصب الجبرتي في ٣١ يوليو سنة ١٨٧٢ حاملاً رسالة منه يوضح له فيها أن بوجوس هي أرض أثيوبية منذ زمن بعيد تعين

حكامها، وهاجم الذين يحاولون الايقاع بين مصر وأثيوبيا وأشار إلى أن الامبراطورية الأثيوبية كانت تضم المنطقة الساحلية وشكا من أعمال منزنجر التي قد تؤدي إلى افساد العلاقات بين البلدين، وطلب منه أن يسحب القوات المصرية من بوجوس كمقدمة لتحسين العلاقات لكن إسماعيل احتجز هذا المبعوث الأثيوبي لمدة تقرب من عام، اذ ظل في مصر حتى اغسطس سنة ١٨٧٣.

وفي نفس الوقت ارسل الامبراطور يوحنا الرابع مستشاره العسكري كيركهام إلى بعض الدول الأوروبية (النمسا – روسيا – ألمانيا – فرنسا – بريطانيا) في نهاية شهر أغسطس سنة ١٨٧٣ بهدف أن تقنع هذه الدول إسماعيل بالانسحاب من بوجوس ومساعدة أثيوبيا في الحصول على ميناء أمفيلا وسهول الملح، وكلاهما مؤثر في الأحوال الاقتصادية الأثيوبية غير أن الدول الأوروبية لم تهتم بهذا الموضوع. بل وقفت إلى جانب مصر أما بريطانيا فكانت أقل اهتماما ، اذ كان رد ملكتها على وزير خارجية حكومتها على الإمبراطور فيما يتعلق باعتداءات المصريين على بلاده، أن حكومة إسماعيل قد أخبرت بريطانيا أنه ليس في نيته ضم أي جزء من أراضي أثيوبيا في المستقبل، ولذلك فالملكة ووزير خارجيتها يعتقدان أن مخاوف يوحنا غير ذات موضوع وكانت انجلترا منذ أن حدثت الاعتداءات في بوجوس، قد أرسلت مستر

ستانتون لكي يستطلع الأمور والتطورات التي حدثت بهذه المنطقة، وقد أخبره الخديوي بأنها ليست صراعا على الحدود لأن يوحنا غزا منطقة كانت تنتمي إلى اقليم التاكة منذ أن غزا محمد علي السودان، ولا أساس لما يطالب به يوحنا بممتلكات على الساحل لأنه خاضع كله – من السويس إلى بربرة – للسيطرة المصرية وأن انجلترا نفسها استأذنت الباب العالي عندما أرسلت حملتها في عهد تيودور لكي يسمح لها بالمرور عبر أراضيها إلى أثيوبيا وأوضح له أنه اذا كان يوحنا لا يعترف بسلطة الباب العالي فان الخديوي قد يضطر إلى الحرب مع أثيوبيا لينتقم من الاعتداءات التي تقع على أقاليمه واذا لم يتراجع خلال ثلاثة أشهر عن كل الأراضي والممتلكات التي استولى عليها، ودفع تعويضات إلى من تضرروا ، فإنه سوف يحتل بوجوس وعندما علم جرانفيل بهذا القرار الخطير، أمر ستانتون بأن يخبر الخديوي أن هذا العمل المقترح ضد أثيوبيا سوف يعتبر أمرا مرضي عنه من جانب بريطانيا، وحث الخديوي على تلمس حل وسط لصراع الحدود هذا كذلك أمر جرانفيل سفيره في القسطنطينة بالتوصية بأن يحاول حث الباب العالي على إصدار الأوامر بوقف مشروع الخديوي إسماعيل الحربي هذا، حتى يبحث عن حل منصف لهذه المشكلة .

على أن إسماعيل أرسل مذكرة إلى الباب العالي شرح فيها أسباب فتحه لمنطقة بوجوس وذلك ليقدم الحماية الواجبة لأتباع السلطان في هذه المنطقة وأوضح أنه ليس للحكومة المصرية الحق في أن تضع شرعية خضوع هذه المنطقة للدولة العثمانية في وضع يسمح بقبول حل وسط من أية قوة أجنبية أخرى وهكذا أستطاع إسماعيل أن يقرن المصالح المصرية بالمصالح العثمانية وفي أنه يحافظ على أملاكها وأوضح أن قواته لن تتخطى الحدود الأثيوبية وأن مصر ليست لها أطماع توسعية فيها وأنه يبغي تنشيط التجارة والزراعة بين البلدين .

كما قابل الخديوي أخيرًا المندوب الأثيوبي وهكذا استطاع إسماعيل أن يهدئ من الموقف العالمي ضده وأن يقنع بريطانيا بأنه لا ينوي الاعتداء على أثيوبيا كما وضع عدم اهتمام بريطانيا بتطور الأحداث بين مصر وأثيوبيا وربما كان سبب هذه اللامبالاة من جانبها معرفتها تماماً بأن النتيجة هي وقوع الحرب بين الدولتين وتورط إسماعيل في مشاكل مالية وبعد أن تم احتلال بوجوس، أراد إسماعيل أن يؤكد ضمها بتحديد الحدود بين مصر وأثيوبيا وذلك بالطرق السلمية، فاستدعى منزنجر من مصوع لأخذ رأيه في هذا الموضوع ، واتفق على إجراء مفاوضات في هذا الشأن مع الامبراطور يوحنا إلا أن هذه المفاوضات لم تسفر عن شئ بسبب اشنغال يوحنا بمقابلة الرؤوس الخارجة على حكمة وكذلك

لأن كيركهام أرسل إليه من أوروبا يقول له بأن بعض الدول الأوروبية ستؤيده كما شاع في مصوع أنه سيجد معاونة من بعض الجهات وساعد على تدعيم هذه الشائعة زيارة وكيل قنصل فرنسا في مصوع له وايهامه إياه بأن فرنسا تؤيده بالرغم من موقفه تجاه المبشرين الكاثوليك .

لذلك فقد صرف يوحنا النظر عن التفاوض مع منزنجر ودفع بمجموعة كبيرة من الخيالة والمشاة المسلحة إلى الهجوم على ايماسا السودانية الواقعة على بعد يوم من كوفيت المركز العسكري، فقتلوا عددًا من الأهالي ومن ضباط هذه المنطقة وأسروا عدداً من النساء والأطفال وسرقوا الماشية وتكررت الغارات الأثيوبية على القرى السودانية، مما أدى إلى وقوع اصطدامات بين القوات المسلحة المصرية والقوات الأثيوبية، وبالتالي إلى ازدياد التوتر بين مصر وأثيوبيا وازاء ذلك عين إسماعيل منزنجر، في فبراير سنة ١٨٧٣، مديرًا لعموم شرقي السودان ومحافظاً لسواحل البحر الأحمر من سواكن إلى رهيطة، بما في ذلك اقليمي بوجوس والتاكة كما أرسل في أبريل سنة ١٨٧٣ امدادات حربية وعسكرية إلى مصوع لتدعيم القوة المصرية العسكرية في هذه المنطقة وكان الهدف من ذلك توحيد هذه المناطق تحت قوة وسلطة واحدة، لكي تستطيع مواجهة الغارات الأثيوبية والرد عليها وأوضح أن إسماعيل آلى على نفسه تأديب يوحنا

على ما يرتكبه من أعمال عدائية ضد مصر، وهكذا أصبح الصلح والسلام بعيدا عن البلدين والواقع أن منزنجر لم يكن يعمل على استقرار الأمر بين البلدين، وذلك بسبب عدائه الشخصي ليوحنا واستغلاله طبيعة إسماعيل الطموحة التوسعية فزين له احتلال هماسين زيادة على بوجوس، مما زاد من توتر العلاقات بين البلدين وتصعيدها .

كان هذا موقف مصر ازاء أثيوبيا، أما موقف الأخيرة فقد بلوره يوحنا الرابع برفضه الاستجابة للرغبة في السلام الذي عرضها عليه إسماعيل في رسالته بشرط رد الماشية والأسرى فبعد ثمانية أشهر من رسالة إسماعيل، بعث يوحنا إلى الخديوي برسالة يرفض فيها مطالبه وتمسك بالمناطق التي استولى عليها إسماعيل (بوجوس-ايليت)، وذكر أنها أقاليم أثيوبية ، كما أدعى ملكية أثيوبيا لمواني ساحل البحر الأفريقي وقد عدد إسماعيل باحتلال هماسين حتى يتمكن من اطلاق سراح الأسرى والتعويض اللازم للأهالي نتيجة للخسائر التي تكبدوها من جراء الغارات الأثيوبية وبذلك وضح أن تحقيق السلام بينهما أصبح مستحيلا فبالاضافة إلى توتر العلاقات كان احتلال مصر لبوجوس قد وضع في يدها معبرًا سهلاً لشمال أثيوبيا اذ كانت كيرين قاعدة صالحة للهجوم على اقليم هماسين الخصب، وجهات أثيوبيا الشمالية كما أن سكان اقليم هماسين ارسلوا إلى منزنجر أثناء فتح بوجوس يبدون له

رغبتهم في الدخول إلى الحكم المصري وبالطبع كان موقف يوحنا ازاء هذا هو موقف الغاضب، وقرر أن يحارب المصريين حتى النهاية وذلك بالرغم من فشل رحلة كيركهام إلى أوروبا ورفضها مساندته بطريقة عملية فعالة، ورسالة ملكة بريطانيا التي ظهر منها أنها بجانب إسماعيل ضمناً.

والواقع أننا لو نظرنا إلى كل من الطرفين نجد أن كليهما مسئول عن تدهور الأمور بينهما وذلك لأن إسماعيل، بالرغم من أن هناك من يقول أنه كان يريد السلام مع أثيوبيا، كان بتوسعه في شمال أثيوبيا وغربها لايوحي بذلك، بل اتخذ ذلك وسيلة لتحقيق طموحه وأحلامه، كما أن يوحنا لم يسع من أجل السلام بين البلدين كما حاول البعض أن يصوره، لأن خلفيته الدينية التعصبية التي تعد استمرار لسياسة تيودور السابقة، ومحاولة كل منهما القضاء على المصريين والأتراك، كل ذلك جعل السلام بين البلدين مستحيلا ، ولذلك فالسنوات التالية قد شهدت قمة تدهور العلاقات السياسية بين البلدين وأدت في النهاية إلى حرب بينهما.

ولما كان يوحنا لا يستطيع أن يشن حربًا كبيرة ضد مصر في ذلك الوقت بسبب الاضطرابات والثورات التي قامت ضده، فقد أثار عن

طريق كيركهام مسألة عدم وجود ميناء لأثيوبيا، ومدى احتياجها إليه وأوضح لبريطانيا أن المصريين بتحكمهم في الساحل الأفريقي للبحر الأحمر ، يتحكمون في تجارة أثيوبيا عن طريق مضاعفة الرسوم عن البضائع مما يضاعف أثمانها في الأسواق الأثيوبية، كما أنهم يمنعون اتصال أثيوبيا بالخارج وهذا يحرمها من تحقيق التقدم والازدهار

وقد أدى ذلك إلى توسط القنصل البريطاني في مصر لدى الحكومة المصرية واقترح إلغاء الضرائب الجمركية بين مصر وأثيوبيا مما يسمح للأخيرة بالتجارة الحرة مع العالم الخارجي، وقد وعده نوبار بعرض اقتراحه هذا على الخديوي وانتهت الأمور بأن عرض الخديوي على مبعوث يوحنا الذي لم يكن قد غادر مصر بعد، أنه على استعداد لعقد اتفاق تجاري مع أثيوبيا ينظم الضرائب الجمركية .

غير أن هذا لم يرضي يوحنا الذي كان يهدف من وراء حصوله على ميناء على البحر الأحمر إلى تسهيل استيراده للأسلحة والذخيرة التي تساعده ضد الثائرين عليه ولقد اعتقد يوحنا أن توريط بريطانيا عن طريق غير مباشر، قد يساعده في الحصول على هذا الميناء لذلك فقد كانت الحركة المضادة منه ازاء توسع المصريين ، أن أنشأ ولاية جديدة ملاصقة للحدود المصرية، بل وضم إليها بعض الأجزاء الخاضعة لمصر

وعين عليها كيركهام، وسميت بولاية جندا وتضم ميناء زولا المصري والقبائل النازلة حوله وقد بدأ كيركهام يطالب أهالي زولا وجيندا وأمفيلا وملاحة اسالة بدفع الضرائب له وقد أدركت مصر محاولات يوحنا هذه للحصول على ميناء على البحر الأحمر، وبالتالي يسهل له الحصول على الأسلحة اللازمة له فيشدد غاراته على الحدود المصرية لذلك أحكمت مصر رقابتها على سواحل البحر الأحمر لمنع دخول الأسلحة بجميع أنواعها إلى أثيوبيا حتى ولو كانت للصيد وامتدت هذه الرقابة حتى جمرك السويس والاسكندرية ولم يكتف إسماعيل بمنع السلاح بل حاول منع اتصال يوحنا بالدول الأجنبية على أية صورة كانت ، وذلك خوفًا من تدخل هذه الدول فيما يحدث من صراع الحدود بين الدولتين، وكان يوحنا ينتهز فرصة وجود الرحالة الأجانب في بلاده فيبلغهم بمتاعبه مع مصر كذلك شجع إسماعيل على التمرد ضد يوحنا، بجلب المتمردين إليه فوافق على تعيين منزنجر لاثنين من كبار أعداء يوحنا معه كما تبع هذه السياسة مع باقي الرؤوس الثائرين على يوحنا في غرب ووسط وجنوب أثيوبيا فكانت ترسل إليهم الهدايا وقد أثار هذا الاجراء من جانب إسماعيل، غضب يوحنا على أنه نجح في اخضاعهم وضمهم إلي بجنودهم وأسلحتهم حتى تجمع له جيوش ضخمة أثارت مخاوف المصريين، مما جعل مدير عموم قبلي السودان يطلب من مصر

امدادات عسكرية، وأعلنت حالة الطوارئ على الحدود ازاء تحركات يوحنا بجنوده الضخمة هذه، غير أن يوحنا لم يهجم على الحدود المصرية في ذلك الوقت .

ومع أن يوحنا استطاع أن يخضع كل الرؤوس الخارجة عنه تقريبا، إلا أن منليك استطاع بدهائه أن يفلت من الخضوع ليوحنا، بارساله أحد رجال الدين في شموا ومعه مبلغ كبير من المال مؤكدا ولاءه له وكان منليك في ذلك الوقت يبحث عن قوة تساعده ضد يوحنا ، كما أن مصر كانت تسير على سياستها في جذب المناوئين لحكم الإمبراطور، لذلك فقد تقابل الطرفان معا، وكانت البداية عندما استولت مصر على بوجوس، فقد ذهب أحد كبار الأثيوبيين إلى منليك ونصحه بالتعاون مع المصريين لمصلحته، فاتجه منليك إلى أبناء الشيخ أبو بكر باشا حاكم زيلع وأوفده إلى مصر لاقتراح نوع من التحالف مع الخديوي ضد يوحنا الذي رحب بتقوية علاقات مصر مع شوا حتى لا ينضم ملك شوا مع يوحنا ضد مصر وحاول منليك أن يحصل من مصر على بعض الحرفيين والفنيين لتمدين بلاده. غير أن ذلك لم يتم بالرغم من استمرار الاتصالات بين مصر وشوا، كما أن إسماعيل لم يستثن منليك من حظر السلاح الذي فرضه على أثيوبيا في ذلك الوقت .

وقد أدت سياسة التوسع التي اتبعها إسماعيل في شرقي افريقيا، إلى زيادة التوتر بين مصر وأثيوبيا، فقد شعر يوحنا بأن المصريين قد حاصروا بلاده من جميع الجهات، فبدأ يستعد للحرب مع المصريين لذلك بدأت مصر ترسل الامدادات العسكرية، كما طلبت من حاكمها في شرقي السودان حماية الأهالي وصيانة شرف الحكومة وبالرغم من حالة التأهب هذه ، فإن يوحنا لم يهاجم الحدود المصرية ولم يعلن الحرب على المصريين وربما يعود ذلك للحالة المضطربة التي كانت تعم بلاده وخاف أن يبدأ هو بالهجوم على مصر، فينتج عن ذلك ازدياد التوترات ضده مما يهدد حكمه لذلك آثر أن يدفع المصريين أن يبدأوا بالهجوم حتى يستغله في اثارة النصرة الدينية والقومية عند المسيحيين الأثيوبيين ضد اعتداء المصريين على بلادهم وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك .

واستمر يوحنا في حشد قواته وتدريبها على الأسلحة التي تركها له نابيير وذلك بهدف تدعيم الاعتقاد لدى مصر بأنه سوف يشن الحرب ضدها، وبذلك تستمر حالة الطوارئ في القوات المصرية وما يتبعها من زيادة المصروفات، كما استولى على مداخل الطرق المؤدية إلى داخل بلاده القريبة من الحدود المصرية وحشد فيها قواته وذلك لاجبار مصر على اعلان الحرب أو على الأقل استمرارها في اعلان الطوارئ بين

قواتها وبالتالي يكون ضررها عظيما على الحكومة المصرية كما بدأ يمهد الطرق ويصلحها وبالذات الطرق التي تربط عاصمته بكل من هماسين والمناطق المجاورة لحدود مصوع وجندر في الجنوب وذلك لمساعدته على الانسحاب في حالة الهزيمة أو لضرب مناوئيه بسرعة بعد انتهائه من الانتصار على المصريين هذا بالاضافة إلى أنه قام بشن غارات محدودة على الأهالي حتى يبث الفزع فيهم ويؤكد لهم أن حكومة مصر لا تملك القدرة على حمايتهم، وقد نتج عن ذلك ازدياد شكوى السكان من رعايا الحكومة المصرية القريبين من أراضي أثيوبيا .

حملة أرندروب

بدأ إسماعيل ينفذ خطته ، فقلد الكولونيل أرندروب الحملة الأولى في ١٧ سبتمبر وكانت التعليمات الصادرة إلى أرندروب تقضي ببحث الآثار التي نجمت عن تحركات وغارات جيوش يوحنا على الأهالي في كل من مصوع وبوجوس، وألا يحارب يوحنا إذا تقهقر بجيوشه، ويبقى بعيدًا عن أراضي أثيوبيا، على أن يكون مستعدًا لصد أي عدوان وبمجرد أن وصل أرندروب إلى مصوع، أرسل رسالة إلى الإمبراطور أوضح فيها أن هدف الحملة هو تحديد الحدود بين مصر ،أثيوبيا ، وأن مصر لا تنوي غزو أثيوبيا غير أن يوحنا لم يرد على رسالته.

لذلك زحف أرندروب على أسمرة في اقليم هماسين وأخذ يتقدم. في هذا الاقليم يغريه على ذلك انسحاب يوحنا السريع غير أن يوحنا استطاع أن يثير النعرة الدينية والقومية عند الأثيوبيين ويحولها إلى حرب صليبية أخرى فنجح في أن يجمع الرؤوس المعادين له وجعل مطران أثيوبيا يعلن الحرب المقدسة وأعلن أن المصريين يعتدون عليه وفي ١٨ نوفمبر وقعت في كمين أعده يوحنا لها وفي أثناء الاشتباك وصل أراكيل بك بالامدادات المطلوبة واشترك في القتال ، إلا أن معركة كهندت انتهت بهزيمة ساحقة للقوات المصرية وقد كان لهزيمة حملة أرندروب أثر سيئ في سنهيت ومصوع حيث ساد الفزع بين الأهالي الذين اعتقدوا أن يوحنا سيزحف على هذه المناطق ويستولي عليها لذلك دعمت الحكومة المصرية حامياتها المنتشرة في هذه المناطق وأرسلت إحدى السفن الحربية المصرية إلى مصوع لحماية المدينة من الأثيوبيين كما منعت الحكومة المصرية حضور أي شخص كان من الذين اشتركوا في هذه الموقعة إلى مصر وذلك لمنع الشائعات المزعجة بين شعب مصر .

أما يوحنا، فقد رفض الاستمرار في الحرب ودخول مصوع وفي أثناء حملة أرندروب، أمر إسماعيل منزنجر باشا بأن يقود حملة عسكرية تتجه إلى أثيوبيا وقد غادر منزنجر طاجوره، مبتدئا رحلته إلى أوسا

وذلك في ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٧٥ غير أن كل من محمد ولد العيطة ومحمد هنفري، اتحدا معاً في القضاء على حملة منزنجر هذه ، وبالفعل نجحا في ذلك .

حملة راتب باشا:

أحدثت هزيمة الجيش المصري في جندت والقضاء على حملة منزنجر تأثيرا سيئاً في مصر وباتت الحكومة المصرية تخشى أثر هذه الهزائم التي ألمت بقواتها على نفوذها في السودان كله لذلك فقد اتخذت بسرعة الترتيبات اللازمة لارسال حملة جديدة، وبالفعل تكونت حملة ضخمة في عددها ومعداتها واسندت قيادتها إلى راتب باشا قائد الجيش المصري، وكانت الأوامر الصادره له أن يعيد الهيبة للجيش والحكومة المصرية في نفوس الأهالي، وأن يحقق الهدف الأساسي لحملة أرندروب، أي تأمين الحدود المصرية وهزيمة يوحنا واحتلال عدوة وإجباره على عقد اتفاقية يحترم فيها حدود مصر ثم الانسحاب والعودة إلى مصوع .

وبالرغم من انتصار حملة راتب في ٩ مارس، فانها لم تحقق هدفها في القضاء على حكم يوحنا، ذلك لأن إسماعيل لم يحقق للحملة القيادة الواحدة المسئولة المتجانسة.

المفاوضات مع الإمبراطور يوحنا

وبدأت المفاوضات،وافق فيها الأخير على عودة جميع الأسرى من حملة أرندروب ومعركة ٧ مارس، وعقد معاهدتين للتجارة، والبريد مع مصر على غرار ما هو جاري بين الدول الأخرى، أما مسألة الأسلحة ، فقد أشار يوحنا إلى صعوبة جمعها من جنوده غير النظاميين ويطلب من الخديوي اعتبارها بمثابة هدية منه له ، غير أن إسماعيل تمسك بارجاع السلاح أولا ثم بعد ذلك يتفق على المسائل الأخرى مثل الحدود والتجارة وقد أخذت مشكلة ارجاع السلاح هذه حيزًا كبيرًا من المفاوضات بين راتب باشا ويوحنا لدرجة أنها كادت توقف سيرها، مما دفع راتب باشا إلى الانسحاب إلى قلعة جورا وهدم استحكاماتها والانتقال إلى قلعة قياخور، وذلك لدفع مفاوضات الصلح إلى الأمان، واثباتاً لحسن نية مصر في الوفاق والسلام وأخيرًا حلت مشكلة السلاح، عندما اقترح إسماعيل على قائده قبول ما يقدمه منها، كما طالبه بأن يعمل على استرداد جميع الأسرى المصريين والعرب، وقد نقل راتب باشا رغبة الخديوي إلى يوحنا عن طريق مندوبه وقد ذهب المندوب الأثيوبي ومعه علي الروبي وأخبر يوحنا برغبة الخديوي بعودة الأسرى جميعهم، وعقد المعاهدات التي تنظيم التجارة والبريد بين البلدين وقد وافق يوحنا

على هذه الرغبة، فعاد كل من المندوب الأثيوبي والمصير إلى راتب باشا حيث أخبراه بموافقة الإمبراطور هذه .

ولكنه احتجز نسختي المعاهدة، وذلك لأن توقيعها يتعارض مع بقاء الجنود المصريين في مواقعهم، وأنه اذا حدث شقاق بعد التوقيع بسبب بقاء هذه، القوات في مواقعها، فإن هذا سوف يؤدي إلى النزاع مع يوحنا مرة أخرى بأي صورة كانت، لذلك أرسل يسأل ما اذا كان الخديوي ينوي إبقاء القوات المصرية في النقط الهامة، فيجب من الآن التوقف عن التوقيع حتى يتم الاتفاق على الحدود بين البلدين وعلل راتب باشا عدم توقيعه بأن يوحنا لم يرسل الأسلحة وباقي الأسرى، وقد وافقه الخديوي على ذلك وكان راتب باشا يخاف على جيشه من توقيع المعاهدة وما زالت قواته في أثيوبيا لم تنسحب تماما خاصة وأن يوحنا بقواته لم يكن بعيدا عنها وتوقفت المفاوضات.

ولما كان يوحنا يرفض التفاوض مع عثمان رفقي لاعتقاده أنه ينتجه سياسة عدائية توسعية مخالفة تمامًا لسياسة إسماعيل والتي ظن خطأ بأنه لا يبغي العداء أو التوسع، كان لابد من شخص جديد يقوم بالتفاوض فسعى القنصل الانجليزي إلى تعيين جورج تشارلس جوردون حاكمًا عاماً للسودان ليتولى هذه المهمة وبالفعل تم ذلك ووصل

جوردون إلى مصوع في ٢٦ فبراير سنة ١٨٧٧، وكان الهدف الهام والعاجل هو حل المشاكل القائمة بين مصر وأثيوبيا وعقد معاهدة سلام مع يوحنا وقد أخبر عثمان رفقي الإمبراطور يوحنا بهذا التعيين وأنه لا مانع من استئناف المفاوضات معه اذا كان يرغب في ذلك .

وقد أرسل جوردون إلى يوحنا بمجرد وصوله إلى مصوع، يطلب منه ارسال مبعوثه للتفاوض معه، واعتقد جوردون خطأ بأن يوحنا سيكون سعيدًا لاجراء مفاوضات السلام معه، إلا أنه لم يكن مصيبا، إذ كانت مطالب يوحنا كشرط لاستقرار دائم مع مصر منحه ميناء مصوع وبلاد بوجوس وتسليم ولد ميكاييل أو على الأقل إجباره، على الكف عن الإغارة على أثيوبيا ولما كان من الصعب على مصر التخلي عن صديقها المخلص هذا، فإن جوردون قد عرض عليه أن يحكم بعض الأقاليم في المناطق المصرية بعيدًا عن الحدود الأثيوبية وحاول جوردون لكي يكسب ثقة يوحنا، أن طلب من مصر تعيين المطران الذي يطلبه وذلك ليدفعه إلى ابرام الصلح واستقرار الأمور بين البلدين .

لكن الحكومة المصرية رفضت طلب جوردون هذا، لأن يوحنا لم يطلب هذا المطران بصفة رسمية، وتخاف من ارساله فيقتل بسبب اضطراب الأمور في أثيوبيا نفسها، وبينها وبين مصركما ألمحت إلى

أهمية وجود المطران المصري في أثيوبيا وتأثيره في تدعيم حكم يوحنا، مما قد يؤدي إلى زيادة غاراته على الحدود المصرية وبالتالي فشل المفاوضات معه على أنه في حالة الصلح معه فإن مصر على استعداد لارساله إليه، بل ينص عليه في شروط هذا الصلح وقد اقتنع جوردون برأي الحكومة المصرية هذا، بل طلب عدم تعيينه حتى ولو طلبه الإمبراطور الرسمي إلا بعد فترة من الوقت وربما ساعد على اقتناع جوردون بهذا، أن يوحنا لم يرد عليه عندما دعاه للمفاوضة.

وأرسلت مصر إلى عثمان رفقي بأن لا يتعرض ولا يتدخل في شئون ولد ميكاييل ولا ينفذ أوامر جوردون بالقبض عليه أو إرجاعه إلى منطقته كما أمر إسماعيل بأن لا يتدخل في هذا الموضوع ما دام ولد ميكاييل يحارب يوحنا من تلقاء نفسه دون تدخل مصر وقد برر جوردون عمله هذا بأن اعتداء ولد ميكاييل هذا قد يؤدي إلى الحرب مع يوحنا، ولا يعلم رد الفعل الأوروبي إذا نشبت هذه الحرب، إذ من السهل تفسيرها بأن مصر حرضت ولد ميكاييل ضد أثيوبيا لكن انتصار ولد ميكاييل هذا قد انقلب إلى هزيمة على يد ألولا الذي أرسله يوحنا وقد نتج عن ذلك هروب ولد ميكاييل إلى ايليت، وطلب من السلطات المصرية في مصوع تزويده بالمؤن، فرفض جوردون، أرسل إلى مصر يطلب مددًا حربياً لحماية مصوع من هجوم قد يقوم به ولد ميكاييل،

واقترح في حالة تعذر وجود قوات كافية أن يطلب من قنصل بريطانيا في مصر أن يراسل حاكم عدن ليرسل باخرة حربية إلى مصوع مؤقتا لهذا الغرض وعندما استقر الأمر ليوحنا، أرسل إلى جوردون بطلب منه أن تبدي حكومة مصر وفي أثناء ذلك عزلت الدول الأوروبية إسماعيل عن حكم مصر في يونيه ١٨٧٩وعندما علم جوردون ذلك قدم استقاله وهكذا انتهى حكم إسماعيل وحكمدارية جوردون للسودان وأملاك مصر في شرق السودان وشمال أثيوبيا مهددة من الإمبراطور يوحنا ورؤوسه بعد أن كانت مصر تهدد أثيوبيا وحكم يوحنا، وذلك بفضل جوردون وسياسته.

اشتد التدخل الأوروبي في الشئون الداخلية لمصر على أيدي ممثلي الدول ووكلاء المرابين الدوليين وسماسرتهم مما أدى إلى نشوب صراع بين حكام مصر والوصاية الدولية بلغت إلى أوجه سلطتها عندما عزلت الخديوي إسماعيل وقد أصاب التدخل الأوروبي بعزل إسماعيل وتعيين توفيق مركز الخديوي بالضعف، مما نتج عنه اعتماد حكومة الخديوي الجديدة على مؤازرة هذه الوصاية الدولية، وتدهور الأوضاع الداخلية في مصر والسودان وثورة شعبيهما بعد ذلك على هذا التدهور والتدخل الأوروبي .

بدأ جوردون بعد أن أعيد تكليفه بمهمة رسول السلام مع يوحنا، يقوم بنشاطه السياسي في القاهرة في ظل الوصاية الدولية على مصر، أي أنه يعمل لصالحها ولمصر بعد أن كان يعمل في حكمداريته السابقة ضد مصر بتوطيد حكم يوحنا لذلك كتب إلى القنصلين العامين لفرنسا وانجلترا في مصر بضرورة تدخلهما للحصول على ما سماه بالأشياء الحلوة، وتجنب الأشياء المرة ، أي أنه ما دامت مصر قد أصبحت في مثل هذه الحالة الضعيفة، فإنه آن لهما أن يحافظا على أملاكها معا ولا داعي للتنافس، وأن يعملوا على إبعاد يوحنا عنها وبالفعل استجاب قنصلا فرنسا وانجلترا لتوجيهات جوردون هذه. وهو شئ لم يحدث من قبل بل كان يحدث العكس فجعلا دولتيهما متحدتين معا في ارسال برقيات إلى الإمبراطور يوحنا يأمرانه بالتخلي عن مطامعه في حدود الحكومة المصرية، وإنهما سيهاجمانه، اذا قام بغاراته على هذه الحدود كذلك أصدرت فرنسا تعليماتها إلى قنصلها في مصوع بالتوجه إلى ولد ميكاييل ورأس ألولا، ويأمرهما بوقف غاراتهما على حدود مصر ولم يكتف جوردون بذلك بل أرسل إلى عدن وجدة يطلب إرسال مراكب مدفعية إلى ميناء مصوع .

وكتب الخديوي توفيق إلى محافظ مصوع وسواكن، يطلب منه أن يحرر رسائل إلى ولد ميكاييل ورأس ألولا والإمبراطور، بأن فرنسا

وانجلترا تحذرهم من الاعتداء على حدود مصر، وأن جوردون سيحضر لمقابلة الإمبراطور، ويطلب – أي الخديوي – وقف هذه الغارات حتى يصل حكمدار السودان، وشدد الخديوي على محافظة مصوع وسواكن بأن يكون مستعدا لأي تطور قد يطرأ حتى يصل جوردون ويتسلم مهامه وغادر جوردون معسكر الإمبراطور في ٨ نوفمبر ومعه خطاب يوحنا إلى الخديوي متجها إلى القلابات أقرب بلاد السودان إلى معسكر الإمبراطور في دبراطابور على أن الإمبراطور الأثيوبي غير خط سير جوردون إلى مصوع لا إلى القلابات ولم يفهم السبب في جعل يوحنا يغير طريق جوردون هذا بعد أن وصل على بعد يوم واحد من حدود السودان. واعتقد جوردون أن السبب هو رغبة الإمبراطور في مصالحته لأنه غادر معسكر يوحنا متكدرا ، على أن يوحنا لم يقابله مرة أخرى وربما كان السبب في ذلك، خوف الإمبراطور على حياة جوردون بسبب وجودة ثورة زعيم جداسي. وجوردون نفسه ذكر أنه لم يكن مرتاحا وهو في هذه المنطقة لذلك ارسل إلى القلابات يطلب ارسال قوة حربية مكونة من ٢٠٠ رجل إليه وبينما هو في هذه المنطقة جاءه رجال الإمبراطور ليعودوا به إلى طريق مصوع والواقع أن يوحنا يسوءه بالطبع مقتل جوردون في بلاده ويؤدي إلى تدهور علاقاته بصفة عامة مع الدول الأجنبية وبريطانيا بصفة خاصة، كما أن ذلك

يكشف بجلاء مدى الفوضى السائدة في بلاده، وأن الإمبراطور لا يستطيع السيطرة عليها وبالتالي لا تهتم بمطالبه بل ربما يكون هناك نتائج أخطر من ذلك لو قتل جوردون.

وقد أرسل جوردون بمجرد وصوله إلى مصوع في ٩ ديسمبر ١٨٧٩ رسالة إلى القاهرة لم يشر فيها فشله، وانما حاول تغطيته بأن ذكر أن حكم يوحنا الاستبدادي لن يستمر طويلا لأن الأهالي سيقضون عليه، بسبب المظالم التي ارتكبها ضدهم. وأن جميع الرؤوس في أثيوبيا لا يريدون محاربة مصر وأن بعضهم مستاء من يوحنا. وطلب من مصر أن ترسل أورطة عسكرية تصل قبل قيامه من مصوع عائدا إلى القاهرة، وذلك لتدعيم المحافظة عليها في مواجهة أي عدوان قد يقع عليها من الأثيوبيين أرسلت هذه الأورطة، وأرسلت أورطة أخرى إلى اقليم التاكة وذلك وبالفعل لصد أي هجوم أثيوبي على أي من المنطقتين .

وأخيرا اعترف جوردون بفشله في مفاوضاته مع يوحنا، وأنه لا يعرف نواياه تجاه مصر، لذلك يقترح تدعيم كافة المراكز والنقاط المصرية المنتشرة في شرق السودان، ولكي تتغلب مصر على المشكلة المالية التي تترتب على هذا التعديم والتي قدرها جوردون بأربعين ألف جنيه وهو مبلغ كبير لا تتحمله ميزانية السودان، عرض على حكومة

مصر التنازل عن ميناء زولا القريب من مصوع إلى إيطاليا فتحل محل مصر في صراعها مع يوحنا وذكر أنه لن يمضى أكثر من ستة شهور إلا وتقع الحرب بين إيطاليا وأثيوبيا .

لكن مصر رفضت اقتراح جوردون هذا كما رفضته بريطانيا التي كانت تؤدي السياسة المصرية في البحر الأحمر في ذلك الوقت ضد القوى الأوروبية الأخرى وعندما شعرت مصر بمدى خطورة عدم الاتفاق مع يوحنا أرسلت سفينتين حربيتين ترابطان بصفة دائمة في مصوع لمساعدة حاميتها في الدفاع عنها ضد أي عدوان أثيوبي يقع عليها واستدعت الحكومة المصرية جوردون إلى القاهرة لكي تتفاوض معه في آرائه واقتراحاته وبمجرد وصوله إلى القاهرة قدم استقاله وغادرها إلى لندن في أوائل شهر يناير سنة ١٨٨٠ وترك العلاقات بين البلدين متدهورة كما كانت ان لم تكن أسوأ مما كانت عليه قبل مجيئه.

وقد أخبر الإمبراطور الأثيوبي قائده ألولا بفشل المفاوضات مع مصر، وأطلق سراح ولد ميكاييل للاستفادة من معرفته بطرق سنهيت وهماسين والبلاد المجاورة للحدود الأثيوبية، وسمح له بأن يقوم بغاراته ونهب هذه المناطق. وأمر الإمبراطور قائده ألولا بوضه حامية عسكرية في أسمرة على الحدود لحين حضوره بنفسه لكي يدرس معه

أمر الهجوم على مصوع، هذا وقد أغار رأس ألولا على خور بكرة التابع للتأكد بقصد نهب مواشيه وبعد ذلك نهب عربان جهة مصوع وقد أثارت هذه الأعمال العدوانية للأثيوبيين الرعب في نفوس الأهالي في هذه المنطقة فتركوا أماكنهم وانتقلوا إلى بندر مصوع، وسارع محافظ مصوع وسواكن يستند بحكومة القاهرة لكي ترسل له مددا عسكريا قويا ليستطيع به المدافعة عن حدود مصر ضد اعتداءات الأثيوبيين ويطمئن الأهالي ويهدئهم .

وأسرعت حكومة القاهرة ، إزاء تدهور الأوضاع في هذه المناطق، وأرسلت توجيهاتها إلى سنهيت بأن تأخذ كافة احتياجاتها من الجنود والذخيرة من حامية أميديب القريبة منها سرًا، وأرسلت إلى مصوع أورطة جنود وسفينة حربية وأشارت على محافظةها أن يأخذ احتياجاته الحربية من حامية سواكن حتى تصل إليه الامدادات الحربية من القاهرة كما عينت حكومة مصر حسن باشا حلمي في منصب الحكمدارية، وأمرته بالتوجه إلى منطقة شرقي السودان لمراقبة تحركات الأثيوبيين وأعطته صلاحيات مطلقة لكي يتخذ ما يراه ازاء هذه التحركات على الحدود كما أنها في نفس الوقت لفتت نظره إلى تجنب اثارة المشاكل مع أثيوبيا كما شددت على مدير التاكه بأن يهتم بتقوية مراكز المديرية الواقعة على الحدود وتدعيم الحاميات المصرية الموجودة فيها بصورة

تجعلها قادرة على التصدي لهجوم الأثيوبيين عليها وأبدت استعدادها له بتلبية احتياجاته الحربية سواء منها – حكومة مصر – أو الإدارة المصرية في الخرطوم وبالفعل قام كل من محافظ مصوع وسواكن ومدير التاكه باتخاذ الاجراءات الكفيلة بتدعيم هذه المناطق، وطلب مدير التاكه من حكومة مصر مده بالجنود لكي يسد العجز الموجود في حاميات سنهيت وأميديب والقلابات بل وكسلا والفراديب التي تواجه منطقة غورة الأثيوبية وحدد مدير التاكه احتياجاته بألف جندي مدعمين بذخيرتهم ومهماتهم الحربية لكي يسد هذا العجز الواضح في هذه الحاميات وقد حققت مصر مطالب محافظ مصوع، وأرسلت إليه امدادات عسكرية وحربية ولفتت نظره إلى أن يعتبر حاميات بعض النقاط غيرالهامة مثل طوكر وسواكن احتياطيا له يستدعي منها ما يحتاجه عند الضرورة أما بالنسبة لمدير التاكه، فنتيجة لعدم استطاعة مصر تجهيز هذا العدد الضخم من الجنود، طلبت منها الاستفادة بعربان الحدود التابعين لمصر وبالفعل قد تم ذلك ووضع العربان للتصدري لما قد يقع على هذه المناطق من غارات الأثيوبين هذا وقد قام حسن باشا حلمي بمهام وظيفته الجديدة على طول الحدود مع أثيوبيا .

وهكذا نستطيع القول أنه مع بداية سنة ١٨٨٠ كانت العلاقات المصرية الأثيوبية في قمة تدهورها واصبحت أراضي حكومة القاهرة

مهددة بالأثيوبيين الذين كانوا يواصلون غاراتهم واعتدائتهم عليها على أن الأثيوبيين لم ينظموا حرباً شاملة على جميع النقاط المصرية المنتشرة على هذه الحدود، وذلك كما ذكر جوردون بأنهم غير قادرين عليها، بل على الإغارة فقط وبالرغم من غاراتهم هذه وسيطرتهم الفعلية على سنهيت ، فشل الإمبراطور في تحقيق أهدافه عن طريق المفاوضات، مما جعله يلجأ إلى الدول الأوروبية ومنها بريطانيا يطلب منها التوسط في العلاقات بينه وبين مصر. وفي أثناء ذلك عملت بريطانيا بفشل مفاوضات جوردون وأن يوحنا أصدر أوامره إلى راس ألولا بالتقدم نحو مصوع، فأسرعت ملكتها وأرسلت خطابات إلى يوحنا ومنليك في ديسمبر ١٨٧٩ تطلب الامتناع عن الهجوم على المناطق التي يحتلها المصريون، وتعرض التوسط في هذا الصراع المصري الأثيوبي وفي يوليو سنة ١٨٨٠ أبلغ القنصل الانجليزي العام في مصر سير ادوارد مانيت لورد جرانفيل بأني يوحنا يقبل عرض بريطانيا ببذل مساعيها الحميدة في هذا الصراع حتى يتم التفاهم بين البلدين. وقد عرض ذلك على رئيس الوزراء المصري رياض باشا وقد نتج عن هذا التدخل الانجليزي أن خفت حدة الصراع بين البلدين، وأعيد فتح باب المفاوضات مرة أخرى بينهما في نهاية سنة ١٨٨٠ وبعد أن ظل مغلقا منذ مفاوضات جوردون الأخيرة في ديسمبر سنة ١٨٧٩ .

وكان يوحنا في الواقع يريد الاتفاق مع مصر لكي يحصل منها على مطران لكنيسته يساعده في سياسته الدينية التي بدأ ينفذها في أنحاء البلاد في ذلك الوقت وكانت مصر لا تقل عنه رغبة في السلام مع أثيوبيا، ويتضح ذلك في فرمان تولية محمد رؤوف باشا الذي خلف جوردون في حكمدارية السودان في مارس سنة ١٨٨٠، فقد أكد هذا الفرمان رغبة مصر القوية في السلام مع أثيوبيا كما أن يوحنا أعاد العلاقات التجارية بين البلدين، كذلك استجابت مصر وأعادت العلاقات التجارية مع أثيوبيا وكان لهذا القرار المتبادل أثر كبير في تهدئة الصراع بين البلدين وقد سر يوحنا عندما علم بأن الأوامر صدرت إلى السلطات المصرية على طول الحدود المصرية بتسهيل العمليات التجارية بين مصر وأثيوبيا وانتهز يوحنا هذا التقارب مع مصر، وطلب منها ارسال مطران وثلاثة أساقفة، وقد استقبل الخديوي بعثة يوحنا التي أرسلها مصحوبة بهدايا ثمينة للخديوي والبطريرك، واستقبالا طيبا، ووافق على طلب يوحنا الخاص بارسال المطران والأساقفة الثلاثة إليه وبالرغم من تحسن العلاقات بين مصر وأثيوبيا نسبيا، فإن مصر كانت تخاف دائما من أن يغير الرأس ألولا أو غيره من الرؤوس الأثيوبيين على المراكز والحاميات المصرية المنتشرة في هذا المناطق لذلك فقد كانت مصر تراقب تحركات جيوش رؤوس أثيوبيا وعلى

رأسهم رأس ألولا ، وكانت حكومة مصر تستفسر عما تفعله حامياتها المنتشرة في حالة هجوم يشترك فيها الإمبراطور مع رؤوسه وكانت النتيجة أنه في حالة النجاح في منعهم ، فإن الأثيوبيين سيتمكنون من نهب وسلب الأهالي الخاضعين للحكومة المصرية، وقد يؤدي ذلك إلى ميل الأهالي إليهم لحماية أنفسهم من القتل ومع ذلك لم يتم شئ من هذا اذ أن بريطانيا احتلت مصر في سنة ١٨٨٢ .

وربما كان السبب وراء بطء المفاوضات وعدم احرازها أي تقدم، أن مصر انشغلت بالثورة العرابية وعندما وصلت إلى الحكم انشغلت بنفسها وبالأخطار المحدقة بها، ولم يكن لديها من الوقت ما يسمح لها بالتفرغ لشئون السودان، واستقرار الحدود بينه وبين أثيوبيا ولذا وجد محمد رؤوف حكمدار السودان نفسه في موقف لا يحسد عليه، فالحكومة العرابية لم تهتم به كما أنه لم يكن لديه الامكانيات اللازمة سواء من الجنود أو الذخيرة أو المال لكي يدعم الحكم المصري في السودان، وكان نشوب الثورة المهدية وتفاقهما جعله يصرف كل جهده للقضاء عليها بعد أن وصلت إلى مرحلة هددت فيها الحكم المصري في السودان، وكان نشوب الثورة المهدية وتفاقهما جعله يصرف كل جهده للقضاء عليها بعد أن وصلت إلى مرحلة هددت فيها الحكم المصري في السودان تهديدا خطيرا، لذلك لم يحاول أن يدفع بعجلة المفاوضات مع

يوحنا مباشرة، بل ظل التفاوض كما رأينا عن طريق بريطانيا وقنصلها في مصر ورغم جهد محمد رؤوف باشا في علاج الثورة المهدية فإن الحكومة العرابية اعتبرته عاجزًا عن اخماد ثورة المهدي وعزلته، وعينت عبد القادر باشا حلمي حكمداراً على السودان في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ وألحقت تحت حكمداريته كل السودان وملحقاته ولم يستمر طويلاً الهدوء النسبي الذي ساد الحدود المصرية الأثيوبية منذ أن حدث التقارب بينهما في سنة ١٨٨٠، اذ أنه في سنة ١٨٨٣ بدأت العلاقات بين البلدين تتوتر من جديد، وكان يوحنا قد دعم حكمه في أثيوبيا التي تمتعت بهذا الهدوء النسبي، واهتم بتحسين أحوال بلاده السياسية والدينية والاقتصادية ويبدو أن يوحنا أراد أن يدفع بريطانيا بعد أن احتلت مصر إلى حل المشاكل المتفاقمة بينه وبين الحكومة المصرية، لذلك بدأ يتجه إلى الاستيلاء على كل المناطق الشمالية حتى سواكن وفي الغرب إلى الخرطوم، وأصدر أوامره إلى قواده ورؤوسه وراس ولد ميكاييل في تيجري وحدودها القريبة من الحدود المصرية وتكلاهيمانوت في الغرب في بجة مدر، وهكذا عاد التوتر على الحدود المصرية وقد شعرت السلطات المصرية على الحدود الأثيوبية بالاستعدادات الحربية التي يقوم بها الإمبراطور يوحنا فأخبرت بها حكومة القاهرة وأدى ذلك إلى إخلاء سكان قرة حطملو وأم كلوا

والبرمي واماتري وترحيلهم إلى مصوع، وتدعيم حاميات هذه القرى. وكان أحد الرؤوس الأثيوبيين وهو بلاتاقبرو يتجول بجيشه في أيليت يستطلع أحوال الحاميات المصرية، وشاهد عملية اخلاء هذه القرى وقام بقطع أسلاك التلغراف في هذه المنطقة واشتبك مع احدى الدوريات المصرية مما أدى إلى قتل رئيس هذه الدورية ومعه خمسة وجرح إثنان وأسر ثلاث من أفرادها كما استولى على أسلحتهم ومهماتهم وقد نهب بلاتاقبرو ماشية هذه القرى وحرق منازل سكانها، وان كان بعض الأهالي هجموا عليه وأخذوا منه بعض ما نهبه وقد نتج عن هذه الغارة العنيفة اضطراب عظيم في هذه المنطقة دفع سكان القرى إلى الهرب منها إلى مصوع كذلك تكشف هذه الغارة عن مدى ضعف الكيان العسكري والاداري المصري في هذه المنطقة ومدى تغلغل الجيوش الأثيوبية فيها حتى أنها وصلت إلى مصوع نفسها المركز الرئيسي للنفوذ والجيش المصري وقد أدى ذلك إلى ايقاف ترحيل الأورط، كما أن حكمدار السودان علاء الدين باشا توجه إلى مصوع للتحقيق في كيفية نزول بلاتاقيرو ووصوله إلى ساحل البحر الأحمر وهي الحالة الأولى من نوعها، اذ لم يسبق أن وصل أحد القادة الأثيوبيين إلى ما وصل إليه هذا القائد ولما كانت مصر مشغولة بالثورة المهدية وبالاحتلال البريطاني في مصر وسلبيته ازاء ما يجري في السودان وحدوده، كما

أنها لم يكن لديها القدرة الكافية للرد على هذه الغارة، لذلك أرسلت مندوبا من جهتها إلى بلاتاقبرو ليستطلع أسباب هذه الغارة العنيفة وقد عاد المندوب ومعه مبعوث من بلاتاقبرو يحمل رسالة من هذا القائد الأثيوبي موجهة إلى حكمدار السودان، يذكر فيها بأن غارته هذه كانت غارة انتقامية لما حدث من قبل من المصريين حيث أغاروا على مقاطعة هذا القائد ومعهم أحد الأثيوبيين الخارجين عن طاعة الإمبراطور يوحنا ويدعى كيفلا، وادعى ادعاءات كاذبة ليبرر بها غارته هذه ونتيجة لوجود جيش أثيوبي في هذه المنطقة أرسلت فرقة حربية من القضارف غلى نقطة الجيرة لتدعيمها فأصبح عدد جنودها يزيد على أربعمائة جندي بالاضافة إلى أفراد القبائل الموجودة بها وذلك استعداد لما قد يقوم به هذا الجيش الأثيوبي من اعتداءات على الحدود المصرية، وفي نفس الوقت صدرت الأوامر إلى سلطات الجيرة بأن تعمل اذا أمكنها بالطرق السلمية اقناع قادة الجيش الأثيوبي هذا باخلاء منطقة الحدود ورد ما نهبوه .

واستمرارًا لسياسة يوحنا التي اتبعها منذ أن احتلت مصر وهي العمل على توتر الحدود المصرية الأثيوبية حتى يجبر بريطانيا على التدخل في المشاكل الواقعة بين البلدين وحلها حلا يرضي يوحنا، رفض رأس الولا عرضا من حكمدار شرق السودان يهدف إلى استقرار الحدود

المصرية الأثيوبية وتأمين الطرق وتنمية التجارة، ويقضي بوضع نقط مشتركة من الجنود المصريين والأثيوبيين على طول الحدود بهدف وقف الغارات الأثيوبية واحلال السلام واصطر راس ألولا على أن الهدوء لن يستتب إلا اذا حصل على مالية سنهيت دون تدخل من جنودها المصريين، والتخلي عن ملكيتها مع جملة جهات أخرى. كما طلب تسليمه الجواسيس الذين أرسلهم للتجسس على النقط المصرية وذلك بالرغم من محاولة اقناعه بعدم أحقيته في ذلك مما جعله يهدد بتخريب المنطقة واستعد لذلك فعلاً كما رفض رأس ألولا عرضاً آخر من الأهالي وقد حاول قنصل فرنسا بمصوع لعلمه الظروف التي تمر بها مصر، أن يساهم في اقرار السلام على الحدود فعرض على ألولا أن يحصل على مالية سنهيت بواسطة رجاله ولكن سرًا، أي بدون علم الحكومة المصرية أو تتغاضى عنه، وذلك حتى يتم الاتفاق بين البلدين بشأن الحدود بينهما، ويبدو أن حكمدار شرق السودان وافق ضمنًا على هذا الاقتراح إلا أنه لم يثق في الأثيوبيين لذلك فلو سلم لهم بما يريدوه فربما زاد طمعهم وبذا يصلون إلى أقصى أهدافهم وبالطبع فان التسليم بمطالب الأثيوبيين سيؤدي إلى ارتماء جميع القبائل في هذه المنطقة في أحضان الأثيوبيين وبذا يتعذر على الحكومة المصرية السيطرة عليهم. وبالرغم من محاولات التوفيق هذه فقد استمرت غارات كل من رأس

بلاتاقبرو ورأس ألولا على الحدود والقرى المصرية، وعندما لم يجد يوحنا أي اهتمام لدى بريطانيا، أمر رؤوسه بتصعيد غاراتهم، فأغاروا في أغسطس ١٨٨٣ على عربان بني عامر النازلين بشرق خور بركة ومما يؤكد هذا التصعيد عدم الرغبة في الاتفاق والتعايش السلمي مع المصريين بل طردهم من هذه المناطق والاستيلاء عليها رسميا وفعليا، أن رأس ألولا قال لحكمدار شرق السودان ارجعوا إلى بلادكم فأنتم ضيوفنا وها أنا قائم لننهب حسب العادة وبالفعل فقد قام بنهب ربع قرى سمهر وكذلك جهات حرقيقو الخارجية وأنه أي ألولا – أعطى هذا الحكمدار ورقة مكتوبة باللغة الأثيوبية وأوهمه بأنها شرط من شروط الصلح ولم يكتف رأس ألولا بذلك بل وضع جنوده على كل الطرق الموصلة إلى مصوع وما يجاورها بهدف منع السكان الهاربين منه من دخول المدينة وبالرغم من أن السلطات المصرية في مصوع أبلغت حكومة القاهرة بخطورة الموقف وبعجز الحاميات المصرية عن صد أي هجوم قد يقوم به رأس ألولا ، فإنه لم يمض أسبوع على ورود هذه البرقية إلى مصر إلا وكان ألولا قد هجم بجيشه على سآتي وهي خارج مصوع مباشرة وطرد المصريين منها وقتل عددا كبيرا من حاميتها وبالرغم من خطورة هذه الحالة واستنجاد محافظ مصوع بضرورة إرسال امدادات عسكرية وذخيرة، فإن حكومة مصر بدلا من أن ترسل

تعزيزات حربية لسد النقص وتدعيم الحاميات فإنها لم تفعل سوى أن استبدلت بلوكين بآخرين أي أن النقص ظل قائما وضعف الحاميات المصرية مازال مستمرا.

ومع زيادة التوتر المؤيد من الإمبراطور يوحنا، فإنه كان طوال هذا التوتر يراسل ملكة بريطانيا أكثر من مرة، مطالبا بريطانيا بالتوسط في استقرار السلام مع مصر وأخيرا قررت بريطانيا أن ترسل بعثة إلى مصوع لدراسة أوضاع الحدود والحاميات المصرية في هذه المناطق وكانت بريطانيا في الواقع بعد أن احتلت مصر في سنة ١٨٨٢، إن لم يكن قبل ذلك، تعمل على تصفية الإمبراطورية المصرية التي كونها إسماعيل وجيش وأبناء مصر لذلك فقد اتبعت بعد احتلال مصر سياسة تقوم على عدم التورط في أي عملية عسكرية ضد الثورة المهدية والاهتمام فقط بالدفاع عن حدود مصر وأمنها وعدم تحمل مسئولية تعيين أي شخص سواء لحكمدارية السودان أو للقوات والنجدات المصرية المرسلة للسودان لاخماد ثورة المهدي ذلك خوفا من فشل أي اجراء اتخذ بناء على مشورة بريطانية، كما أنها ليس لديها أي استعداد لارسال أية حملات للسودان ولكن ترحب بوصول التقارير الوافية عن الأوضاع فيه والأخطار التي قد تتعرض لها مصر نتيجة تطور هذه الأوضاع، عن طريق ارسال فرد أو أفراد يقوموا بدراسة الحالة هناك

دراسة وافية وذلك ليمدوا المسئولين البريطانيين بالمعلومات التي أدعوا أنهم لا يعلمونها، هذا بالاضافة إلى محاولة اقناع مصر بالتخلي عن السودان أو جزء منه، ولما كان هذا يعتبر مرفوضا من جانب حكومة مصر فلا أقل من أن تكون الخدمة العسكرية في السودان هي المنفى لكل عناصر الفتن والاضطراب في مصر من الضباط والجنود المتذمرين من أيام الخديوي إسماعيل والمطرودين في الخدمة بعد إلغاء جيش عرابي، والذين يمكن بهم مواجهة المواقف في السودان وكانت هذه السياسة نابعة من تصريحات رئيس الوزراء البريطاني والمسئولين الإنجليز بأن احتلالهم لمصر هو احتلال مؤقت وأنه ليس لبريطانيا أي مطامع في مصر وأنها ستجلو عنها بعد تأمين مسند الخديوية والاطمئنات إلى الاستقرار الداخلي .

لذلك فقد كانت الاستجابة لرغبة يوحنا في التدخل، لا تتسق مع سياسة بريطانيا وأهدافها في الفترة الأولى من عهد احتلالها لمصر ومما يؤكد ذلك أن المستشار العسكري الإنجليزي سير تشارلس ويلسون قد مذكرة إلى لورد جرانفيل عن طريق القنصل الانجليزي في مصر في ٢ أكتوبر سنة ١٨٨٢ ذكر فيها أن السودان كان دائما مصدر ضعف ومكلفا لمصر ويرجع ذلك إلى الفتوحات التي لم يكن منها فائدة مما أدى إلى تصدع العلاقات المصرية الأثيوبية لذلك يقترح أن تتخلى

مصر عن بوجوس والقلابات لأثيوبيا وتحويل ميناء مصوع إلى ميناء حر بالاضافة إلى التخلي عن كردفان ودارفور، ومنع استيراد السلاح وتسهيل تعيين المطران المصري لكنيسة أثيوبيا واقرار السلام بهذه الشروط، وأن يقوم بالمفاوضات المصرية مع أثيوبيا إنجليزي .

أخذت حكومة بريطانيا بتوصية قنصلها ماليت بارسال بعثة بريطانية لدراسة وكتابة تقرير عن أحوال السودان، ويبدو أن يوحنا كان على علم بذلك لأنه زاد من ضغطه على الحدود وأظهرها بحالة من التوتر الشديد مع استمراره في ارسال رسائله إلى ملكة بريطانيا لحل هذه المشكلة وتحقيق مطالبه وربما كان ذلك هو السبب الذي جعل يوحنا يغير على الحدود المصرية بهذه الصورة المكثفة منذ فشل مفوضات جوردون ومن قبلها، حتى يوحي للبعثة المقترح ارسالها مدى خطورة الحالة على الحدود وبالتالي تميل إلى التسليم بمطالبه بعد أن يضعها أمام الأمر الواقع. وبالرغم من ذلك فقد أكدت حكومة بريطانيا عندما تم اختيار كولونيل ستيوارت والايطالي مسيداليانك أن مهمة هذه البعثة لا تعدو وضع تقرير عن أحوال البلاد وأن يكون مفهوما بأنهم يعملون بأية صفة أهلية أو عسكرية وفي هذا توضيح لمدى سلبية الحكومة البريطانية في أن تتحمل أية مسئولية للأحداث التي تجري في السودان

وذلك حتى تدفع أي تفسير خاطئ لخطوة ارسال هذه البعثة بأنها تمهيد للتدخل من جانب بريطانيا في شئون السودان .

وكان هذا ضد رغبة يوحنا في دعوته لبريطانيا للتدخل والضغط على مصر ولحل مشاكله في الحدود مع مصر، وفي ديسمبر سنة ١٨٨٢ وصل ستيورات إلى الخرطوم عن طريق سواكن وبربر، وبعد أن انتهى من دراسة أوضاع السودان وكتب تقريره، غادره في مارس سنة ١٨٨٣ عائدا إلى القاهرة عن طريق سناروكسلا ومصوع. وعندما وصل إلى مصوع، كتب تقريرا آخر، غير تقريره الأول عن السودان، وبعث به من مصوع في ١٨ أبريل سنة ١٨٨٣ إلى القنصل الانجليزي ماليت بين فيه الحالة في السودان ومضنه توصياته عن اصلاح الإدارة والحكم في هذا الجزء من السودان، وقد أوصى سيتورات بعودة بوجوس إلى أثيوبيا وأوضح أنه بالرغم من خضوع هذه المنطقة لمصر في بداية السبعينات فإن الإمبراطور يوحنا لم يعترف بتاتا بهذا الضم، كما أوصى بمنح أثيوبيا ميناء على البحر الأحمر، على أنه لم يوصي بمصوع وإنما أشار إلى بعض الموانئ الجنوبيه منها، وبالرغم من هذين التقريرين فإن حكومة جلادستون لم تحاول التدخل في فرض ما أوصى به ستيوارت على حكومة مصر، وذلك تطبيقا لما سبق أن ذكرناه

بعدم التدخل في شئون السودان الداخلية أو التورط فيها ، وكل ما فعله هو ابلاغ الحكومة المصرية بالتوصيات التي تضمنها تقريرا ستيوارت .

وهكذا ظلت مشاكل الحدود بين مصر وأثيوبيا على ما هي عليه. اذ أن ما أوصى به ستيوارت لم تأخذ به مصر فلا عادت بوجوس إلى الإمبراطور يوحنا ولا منح ميناء على البحر الأحمر جنوبي مصوع، وكان ستيوارت قد وعد الوفد الأثيوبي الذي قابله في مصوع بمنح أثيوبيا هذا الميناء، لذلك فعندما لم يتحقق هذا الوعد شدد الأثيوبيين غاراتهم على المناطق الخاضعة لمصر، فأغاروا على ميناء زولا وصلوا إلى البحر الأحمر كما ذكرنا من قبل، وربما قصد يوحنا بغارته هذه أن تسلم مصر هذا الميناء إليه والمعروف أن هذه الغارة أثارت الحكومة المصرية، فأرسلت تطلب التحقيق في كيفية وصول الأثيوبيين إلى البحر الأحمر .

وبالرغم من ذلك فقد ظل الموقف كما هو وحتى نهاية سنة ١٨٨٣ تقريبا، على أن الموقف قد بدأ يتغير في نوفمبر سنة ١٨٨٣ بسبب هزيمة حملة هيكس – التي وجهتها مصر ضد المهدي – في موقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ وكان لهذه الهزيمة أثر كبير على تطور الأحداث في شرق السودان وفي العلاقات بين مصر وأثيوبيا فقد

نتج عنها أن تمتع المهدي بنفوذ كبير وسيطرة تامة جنوب الخرطوم واحتشد حوله ألوف السودانيين في الأبيض، وأرسل المهدي دعاته يحملون أنباء انتصاراته إلى مختلف جهات السودان، كما أرسل جيوشه لاخضاع الحاميات المصرية في دارفور وبحر الغزال وبربر ودنقله والسودان الشرقي وكانت المنطقة الأخيرة حتى هذه الهزيمة بعيدة عن الثورة المهدية ويسودها الهدوء، وعندما علمت بهذه الهزيمة وفد إلى المهدي زعماء القبائل في سواكن ومنهم عثمان دقنه الذي عين من قبل المهدي داعيته الجديد على سواكن وطركر وكسلا وقد بويع عثمان دقنه بالامارة من جانب قبائل السودان الشرقي، ثم رفعت راية الثورة في هذا المنطقة وازاء ذلك نصحت بريطانيا مصر باخلاء السودان بأكمله ما عدا سواحل البحر الأحمر، حتى لا تتيح الفرصة أمام الدول الأوروبية المنافسه لها خاصة فرنسا من السيطرة على هذه المناطق وتهديد قاعتدها البريطانية في عدن وخط مواصلاتها البحري الرئيسي إلى مستعمراتها عبر البحر الأحمر لهذا رأت أن تحافظ على سلطة الحكومة المصرية في سواكن، وأرسلت وحدتها البحرية إليها لكي تحتفظ بها بأي ثمن خوفاً من أن تستولي عليها إحدى الدول الاوروبية المنافسة وتتوسع في السودان حتى تصل إلى النيل فتهدد مصر والسلطات الإنجليزية بها، هذا بالاضافة إلى ابقاء وساكن في حوزة مصر قد يفيد

عندما تستخدم كقاعدة حربية لاسترداد السودان عندما يحين الوقت لذلك وقد أرسل شريف باشا برغبته في تدخل بريطانيا في حل مشاكل مصر مع أثيوبيا إلى سير ايفلين بارنج المعتمد البريطاني وذلك في مذكرة مرسلة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٨٣، ذكر فيها أيضا أنه في حالة قبولها التدخل عليها أن تعين الضابط الذي يتعاون مع المندوبين الأثيوبيين والمصريين لرسم حدود البلدين في منطقة بوجوس وقد أوصى بارنج حكومته عندما رفع 'ليها مذكرة شريف باشا هذه بأن لا تضيع الوقت وعليها أن تقوم بها في أقرب فرصة ممكنة ورحبت الحكومة البريطانية بقيامها بالوساطة اللازمة ولكنها اشترطت أن تقبل حكومة مصر لكل ارتباط وتعهد يهدف إلى ارضاء الإمبراطور يوحنا وذلك قبل تدخلها في المسألة وواضح أن قبول بريطانيا الوساطة في هذا الفترة هو معرفتها تماما أنها أصبحت في موقف قوة وتستطيع فرض شروط يوحنا على مصر منتهزة الظروف السيئة التي تعانها في السودان، كما أن ذلك يحقق أهداف بريطانيا أيضا في اخلاء السودان وتدعيم النفوذ البريطاني في أثيوبيا ومصر، أي أن الوقت المناسب قد جاء لتحقيق أهدافها التي تتسق مع مطالب أثيوبيا.

وكان شريف باشا قد عرض الأسس التي تستعد مصر للتفاوض بشأنها مع أثيوبيا، وتشمل تعديلات الحدود بشكل يرضي الإمبراطور

يوحنا، على أن تحتفظ مصر بأي نقط هامة على خط الحدود الجديد الفاصل بين البلدين، وكذلك ترفض مصر منح أثيوبيا أي ميناء على البحر الأحمر وان كانت على استعداد لكي تتخذ الاجراءات التي تسهل حركة التجارة والاتصال بين أثيوبيا والعالم الخارجي، كما أنها ستحصل رسوما مخفضة على البضائع الأثيوبية، واشترطت مصر منع استيراد السلاح لأثيوبيا، وهكذا فعندما استعلم وزير خارجية بريطانيا عما اذا كانت مصر مستعدة لأن تقبل مقترحات سير تشارلز ويلسون والتي ضمنها تقريره في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ اتضح أن مصر تقبل عودة بوجوس إلى أثيوبيا وترفض التنازل عن القلابات كما أنها تقدم كافة التسهيلة لتعيين المطارنة، وتعارض في تحويل ميناء مصوع إلى ميناء حر، وتصر على تحصيل الضرائب المعقولة على البضائع الأثيوبية المارة بهذا الميناء وفي أثناء قيام بريطانيا باستطلاع آراء الحكومة المصرية حول ما تقدمه من تنازلات لأثيوبيا، قامت باخبار الإمبراطور يوحنا رسميا بأنها قبلت التوسط بينه وبين الحكومة المصرية وقد رحب الإمبراطور بذلك .